كاهن وشيطان

أحمد فكري

رواية

دار اكتب

لا يمكن أن يتعذب المرء طيلة حياته، ثم يموت

فيتحول إلى كربون بلا ثواب ولا عقاب.

قول مأثور

مقدمة ..

اعتمدوا جميعكم علي فإن كل الآلام، وجميع مشكلات البشرية ستزول على يدي..

فقط أعطوني الفرصة لفعل ذلك!

من مذكرات ميشيل كاسيان

***

0

تموز 1939:

يُدوّي صوت المراسل الصادر من المذياع في أنحاء الشقة..

– وقد رفضت بريطانيا السلام الذي عرضه هتلر زاعمًا أنه لا يريد تدمير الإمبراطورية البريطانية على لسان وزير خارجيتها إيرل هاليفاكس، الذي قال: إن بريطانيا لن تقبل إلا السلام العادل، الذي يضمن حق الدول الأوروبية في تقرير مصيرها..

ينهض دوجلاس دراي من على الفراش، باحثًا عن مارجريت، التي غادرت الفراش بدورها بعد أن يرتدي خُفّه، ثم يخرج إلى الصالة حيث تجلس مارجريت زوجته إلى جوار المذياع لتنصت إليه..

يرى زوجته جالسة بثياب النوم، فيتقدم ناحيتها بتؤدة ثم يضع يديه على كتفيها من الخلف برفق، ويضيف:

- لا تخافي.. سوف أعود.. فأنا محظوظ.

يدوي صوت الرجل من المذياع قائلًا:

- لابد أن نحمد الرب على أن هتلر أوقف وحدات المدرعات مما يتيح له إعادة تهيئة الوحدات بعد استهلاكها، الأمر الذي فتح النافذة لنا لاستعادة وحشد الجيش مرة أخرى، بعد أن قَدِمَ رجالنا من فرنسا.*

تلتفت إليه مارجريت بعد أن تنبهت لوجوده، ثم تنهض، وبرقة متناهية تغوص وسط ضلوعه، وهي تضيف:

- تعدني.

يعتصرها هو برفق، ثم يضيف بعد أن يطبع قبلة على أحد خديها:

- أعدُكِ.

***

في هذه الأجواء قدَّم رئيس وزراء بريطانيا نيفيل تشامبرلين استقالته ليحل مكانه وينستون تشرشل.. فقد صارت بريطانيا وحيدة في ساحات المعركة أمام عدوها الألماني بعد سقوط فرنسا، وبعدها أعلنت إيطاليا الحرب على بريطانيا في 10 يونيو 1940، بدأت حرب الصحراء ما بين قوات الدولتين في ليبيا ومصر، وانتهت المرحلة الأولى من القتال بهزيمة كبيرة للإيطاليين في معركة بيضافم في فبراير 1940.

1

تقول ماري كوريللي * هل تعرف معنى الفقر؟

ثم تخبرنا أن الفقر الحقيقي هو هذا السرطان الذي يلتهم قلب المرء فيحيله كائنًا شريرًا حسودًا.

أو أن ترتدي بذلة واحدة طيلة عمرك.. أو ربما عندما لا تغسل سياراتك بسبب أسعار المغسلة الباهظة.. أو أن تمشي في الشوارع وسط رفاقك شاعرًا بالتضاؤل والخجل ربما.

لكن أخبركم أنا بالفقر الحقيقي يا رفاق..

هلموا لتسمعوا قصتي.. قصة مايكل هوارد.

***

* كاتبة اسكتلندية، ابنة شاعر شهير، كان أدبها ينتمي للمدرسة الرومانسية

الليل قد أسدل أستاره على المنطقة بأثرها، مما جعل الطرقات خالية تمامًا من المارة، لكنك تراها وقد جلست على أحد المقاعد الخشبية المصنوعة لكي تريح المارة تهدهد طفلها الصغير برفق.. هندامها وقذارة ملابسها توحي بأنها من الدهماء، أو من الذين ألقت عليهم الحرب بظلالها.. واهنة هي كما يبدو.. تسعل، تمسك صدرها، ترتعد أكثر، يتسلل جسد الطفل من بين يديها أكثر..

تميل هي على جانبها الأيمن، ثم تسقط ويسقط الطفل من يدها بعد أن ينسل من بين يديها تمامًا ويستقر على الأرض وقد اشتد بكاؤه.

***

يجلس هو في منزله يرشف قدح الشاي الساخن، ويستمع إلى موسيقى باخ* في تلذذ ..

يقف أمام النافذة ويرمق الطرقات.. الشارع يبدو من الخارج أنه الهول ذاته، هنا يرمق شيئًا ما على الأرض من على بُعد! يفتح النافذة فيدلف الهواء ليلفح وجهه، يحاول أن يصل إلى هوية الشيء، ثم يدلف ويغلق النافذة ليفتح الباب، ويخرج بعد أن ضَمَّ معطفه إلى صدره كي يقيه من الصقيع.

يوهان سباستيان باخ مؤلف موسيقي ألماني ولد في **1685** ورحل في **1750** ميلادية، يعتبر أحد أكبر عباقرة الموسيقى الكلاسيكية في التاريخ الغربي.

يسير بخطوات واسعة حتى يصل إلى ذلك الكيان، فيجد سيدة ملقاة على الأرض بلا حراك، وإلى جوارها طفل رضيع يمزقه البكاء.. يجثو على ركبتيه ليفحصها، يبدو أنه طبيب، يزفر الهواء فتتصاعد من

فمه الأبخرة، فيلتقط الطفل بين أحضانه ثم ينهض، ويرحل تاركا السيدة على الأرض بعد أن تأكد من أنها قد رحلت عن العالم.

2

كانون الثاني عام 1965

يُدوِّي صوت الدكتور سيسلي بابنجتون وهو طبيب نفسي يدنو من الستين، ذو وجه مسطح ورأس كبير، وشارب كَثٌّ.. شعره فضي إلا من جانبيه، فهو أبيض تمامًا.. وسط قاعة المؤتمرات الخاصة بجامعة ريدنغ *

– من وجهة نظري – أيها السادة – إنه – ربما – لا فارق بين العقدتين .. عقدة الإله وعقدة المسيح المنتظر أو المخلص ..

تأسست جامعة ردينغ في عام 1892 وكانت تابعة لجامعة أكسفورد، وانتقل مقرها إلى حرم طريق لندن في العام 1904، واستقلت الجامعة عن أكسفورد في عام 1926 وانتقلت إلى حرم جامعي جديد وهو حرم وايتنايتس عام 1947.

يقولها ثم يضيف:

– لأن العقدة أيها السادة هي كوكبة لا واعية من المدركات، والذكريات،والصور، والاندفاعات،والآراء،والمعتقدات والارتباطات، والمحتويات الأخرى، تنبعث من عاطفة أو دافع أو غريزة، جوهرية، مكبوتة أو نائية.

وهي تحوي صورًا طرازية كامنة في اللاوعي إلى أن يتم تحفيزها أو إثارتها بصورة ما، وعندها، في حالات معينة، تستحوذ على الشخصية بشكل كامل أو جزئي ..

يصمت قليلًا ليعبئ الهواء إلى رئتيه كي يستطيع التحدث، ثم يخرجه حديثًا مرة أخرى:

– وعلى هذا فإن فكرة وصورة المسيح أو الله هي إمكانات فطرية (طرازية) في النفس البشرية.. وعند وقوع حثّ لها، يقع بعض الأفراد المشوّشين في التماهي المضلل مع تلك الصورة الطرازية، مما يؤدي إلى صورة خطيرة من تضخيم الأنا ..

يصمت قليلًا ليضيف:

– إن عقدة المسيح المخلص – أيها السادة أو كما يحلو للبعض تسميتها بالمخلص الأسمى – يكون فيها الشخص المصاب من الذين يعتقدون أن خلاص البشر معتمد عليهم، وأن كل آلام ومشكلات

البشرية ستزول على أيديهم، وأن الآخرين فقط لم يمنحوهم الفرصة لعمل ذلك!

يصمت برهة يخرج فيها بعض الأوراق من حقيبته الخاصة، ويعرضها على الجميع كأنه في ساحة القضاء:

– وها هي ذي صفحة من مذكرات ميشيل كاسيان وهو شخص كان مصابًا فعلا بتلك العقدة.. وقد ادعى أنه المُخَلِّص الأسمى وقد قاد هذا الرجل الكثير من الأتباع المفتونين بقائدهم إلى الانتحار الجماعي بصورة مأساوية عام **1930**. ثم فر هاربًا.

قالها ثم صمت مرة أخرى ليدسها إلى داخل الحقيبة، ثم أضاف:

لقد روى بعض المصابين بهذه العقدة قصصًا حول سماعهم لصوت الله أو صوت الشيطان .. *

يصمت دقيقة يترع فيها عويناته، ويضيف بتؤدة منهيًا خطبته:

– من وجهة نظري يمكننا فهم ظاهرة المسيح على أنها جزء من البحث الدائم والعالمي عن "المخلّص الأسمى": البحث عن قوة أو كائن عليم بكل شيء وقادر على كل شيء، لكي يحبنا ويحرسنا. يحمينا هذا المخلّص من وحدتنا الوجودية، ومن حريتنا، وقلقنا، ومسؤولياتنا في التفكير بأنفسنا وتقرير سلوكنا الشخصي، كما أنه يمنحنا الأمل والمعنى لمحاربة شعورنا باليأس وفقدان الهدف في الحياة.

هذا وإن كنت أعتقد أن لدينا جميعًا "عقدة مسيح" تسكن عميقًا في دواخلنا.. ولكن ليس كل واحد منا سيصبح مسكونًا تمامًا بها أو متضخمًا بشكل عظيم بسببها.. فيمكن للرغبة في تخليص و"إنقاذ العالم" أن تكون قوة إيجابية جدًّا في الحياة إذا أُبقيت تحت السيطرة، ويمكنها أن تكون حافزًا لنفعل الخير ولكي نترك عالمًا أفضل وراءنا .. ويمكنها كذلك أن تكون مصدرًا للعنف الدفاعي المزعوم.

3

*المكان كنيسة ريدنغ بالمملكة المتحدة **

بخطوات واثقة صعد أندراوس دونتز – وهو مهيب الهيئة، أبيض الشعر واللحية، يذكرك ذلك البياض ببياض القطن .. عمره يناهز السادسة والخمسين تقريبًا إن لم يكن يزيد أو يقل قليلًا – منبر الكنيسة كي يلقي كلماته بذات الثقة التي صعد بها، قائلًا بضع

---

* ردينغ.. مدينة مهمة في مقاطعة باركشير الإنجليزية، تقع عند ملتقى نهري التيمز وكينيت، حوالي **40** ميلًا (**64** كم) غرب لندن. وهي المدينة الملكية في بيركشاير.. وهي عاصمة المدينة منذ **1867**.. وقد كانت مدينة ردينغ مركزًا ذات أهمية وطنية كبيرة في فترة القرون الوسطى، وما زالت تحتل حتى اليوم مكانة متميزة بوصفها مركزًا تجاريًا نشطًا ونمو لقطاعي تكنولوجيا المعلومات والتأمين. كما يوجد جامعتان في المدينة وعدد كبير من الطلبة، بالإضافة إلى كونها مقر أحد أكبر الاختفالات الموسيقية في البلاد، أما الكنيسة فهي أقدم المواقع الدينية في مدينة ردينغ، ويعود تاريخ إنشائها إلى القرن التاسع.

كلمات عن الصيام والتوبة والتكفير، مُشيرًا بصليبه المدبب طرفه تجاه أناس من الجالسين كأنه يتهمهم بشخوصهم على أنهم مخطئون، وبلسان قد تعود على إثارة الندم..كان يصيح قائلًا وهو يشير إلى أحدهم.. أنتَ.. أعلم أنك قد ارتكبت خطيئة اليوم، وقد سرقت.. ثم يلوح بيده في ناحية أخرى قائلًا، وأنتِ أيتها العاهرة، أعلم أنك قد ارتكبتِ خطيئة، وقد زنيتِ..

الكل حينئذ يشهق في ذهول، وقد جحظت عيناه، ثم تنهمر الدموع من كل صوب هو خطيب مُفوَّه.. وهو يعي ذلك جيدًا، ويعلم بأن هنالك من يسعى خلفه ويحث الخُطى وراءه من كنيسة إلى أخرى.. ويعلم كذلك أنهم يزرفون عرقًا ودموعًا حينما يتحدث.. هو يعلم ذلك جيدًا، ويفخر به كذلك.. كان باختصار كما يطلق عليه بعضهم كاهنًا ممن يؤيد قهر سقطات الروح بجلد الجسد، لكنه كان فخورًا بذلك.

ثم يضيف بضع كلمات يختم بها تلك الخطبة، ثم يهبط الدرج، فخورًا بما قال.

***

امسكت إليزابيث بذلك الإيشارب المزركش، ثم وضعته على رأسها قائلة لصديقتها نتاليا:

- لا بد أن أخبره.. سوف أموت كمدًا إن لم أفعل صدقيني.

تقولها ثم تهم بالانصراف، لولا أن قبضت نتاليا بيدها على معصمها، وهي تضيف:

– لا بد أنك جننت.. وما الذي سوف تقولينه أيتها المجنونة؟

التفتت إليزابيث إليها بعد أن سقطت إحدى خصلات شعرها الأحمر أمام عينيها الخضراوين، فأشاحتها بطرف أصابعها، وهي تضيف:

– سوف أخبره بما حدث كله..

اتسعت عينا نتاليا دهشة، ثم أضافت:

– كله؟

– نعم كله.

قالتها إليزابيث، ثم همّت بالانصراف هذه المرة دون أن تمسكها نتاليا أو تلحق بها حتى، فقط أضافت في تعجب:

– أيتها المجنونة الحمقاء.

***

– كعادته قد ضرب بتعاليم الكنيسة عرض الحائط دون أن يعلن ذلك.

قالها رئيس أندراوس ألكنسي سباستيان وبون وهو شخص شديد البياض، ممتلئ الجسد، بلا شعرة واحدة في رأسه، قالها ثم مسح عرقه بيده عن صلعته البيضاء.

– إنه غيض من فيض التعذيب الذي يحشو به خطبه كلها .

قالها جريجوري موريس ذلك الأب الرفيع، ذو الشارب الكث، ثم أضاف:

– إنه يتحدث من علو ..

كانوا يتحدثون في الممر الخاص بالكنيسة، حيث دنا منهم اندراوس، وهو يضيف بعد أن استمع إلى حديثهم:

– هل هنالك من تحفُّظات؟

ابتسم جريجوري، وتلعثم ثم أضاف في ارتباك:

– لا شيء على الإطلاق .. كعادتك رائع .

قالها ثم انسل من بين الاثنين تاركا إياهم .

عندئذ أضاف سباستيان بحدة مصطنعة بعد أن وجَّه ناظريه إليه:

– إننا لا نعير تعليمات الكنيسة اهتمامًا.. و.

كاد القتال أن يحتدم بينهما، لولا أن قاطعتهما تلك الفتاة الرقيقة كالفراشة، التي دلفت في رقة وخجل منهما مضيفة:

– معذرة.. كنت أود أن أتحدث إلى.. الأب أندراوس دونتز .

ابتسم أندراوس في شمم، ثم أضاف ناقلًا عينيه بينها وبين الأب سباستيان:

– حسنًا.. إن لم يكن عند رئيسي ما يمنع من ذلك.

قالها، فرمقت الاثنين بنظرة غير فاهمة .. ما الذي يرنو إليه، ثم أومأت برأسها في عدم فهم، فأضاف الأب سباستيان:

– لا يوجد ما يمنع، تفضلا..

قالها ثم انصرف تاركًا المكان، وخلفه انطلق سباستيان يهمهم ببضع كلمات لم يتبين هو منها حرفًا واحدًا.

***

أمسك تشارلز بفأسه، ورفعها ثم هوى بها على الأرض الطينية، للمرة المائة صانعًا حفرة لا بأس بها.. أطلق سُبة قبيحة، ثم رفع فأسه مرة أخرى، وقبل أن يهوي بها، سمع صوت ألبرت نيكلسون وهو يصرخ مناديًا عليه:

– تشااااارلللللللززززززززز!

إن ألبرت نيكلسون صديقه منذ صغره، يقص عليه تشارلز كل شيء، لا ينقصه إلا أن يحكي له كيف يدخل المرحاض ويقضي حاجته..

- تشارلز.. لقد ذهبت.

قالها نيكلسون، ثم وقف يلهث، ويلتقط أنفاسه، واضعًا يديه على صدره، مانعًا قلبه من السقوط.

ترك تشارلز الفأس لتسقط من يديه، ثم أضاف بعد أن غلى الدم في رأسه:

- هل أنت متأكد؟

- نعم.. لقد رأيتها بعيني.

- حسنًا.. لم تترك لي خيارًا.

***

4

من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

آذار 1939

على الرغم من ولادتي في باركشر تلك المقاطعة الفقيرة نسبيًّا وعملي بالزراعة فإن ذلك لم يمنعني من أن ألتحق وأصر على ذلك، رغم أن ذلك لاقى الكثير من الصعوبات، أهمها أن أقراني جلهم إن صدقت القول من الفلاحين الأميين في تلك البلدة .. لكن هذا لا يهم .. ما يهم هو الجزء القادم في حياتي ..

بعد أن تزوجت من ألكسندرا، وهي فتاة ريفية بسيطة ومن عائلة ليست ميسورة الحال كذلك ..

أنجبتُ منها ولدين .. مارك، ومايكل .. مارك الأكبر ومايكل الأصغر..

كانت حياتي هادئة بحق، لكنها تبدلت تمامًا ..

أصدُقكم القول.. تبدلت بعد أن علمت أنني المختار!

***

أيلول 1953

نرى في ذلك الكادر ذلك الملجأ، الذي أطاحت طائرات ألمانيا بالكثير من المباني التي يقبع هو وسطها.. في عملية أسد البحر عام **1940** بهدف تدمير سلاح الجو البريطاني، وكان مفادها آنذاك هو قصف المطارات الخاصة بسلاح المملكة المتحدة، ثم تحولت بعد ذلك إلى قصف المدن والمصانع، وبخاصة المدن الصناعية الموجودة بمدينة لندن، التي عانت الأمرين من القصف الألماني المركز بالطائرات عليها حيث كانت تقصف كل ليلة لأكثر من شهر تقريبًا..

بعض هذه المباني قد تم ترميمه والبعض الآخر ظل كما هو منذ ثلاثة عشر عامًا .. أما الملجأ نفسه فقد طالته إحدى هذه الطائرات، في جزء من أحد مبانيه الأربعة..

لو دققنا أكثر لوجدنا أنه قد خُطَّ على وجهته (ملجأ لــ..). [illegible].. أما الباقي من الاسم واللافتة فلم يعد له وجود..

لو دلفنا إلى الداخل لوجدنا إن هناك منطقة شاسعة فارغة من الرمال قد خصصت لأوقات اللعب، الصبية يلعبون فيها الكرة والفتيات يركضن فيها خلف بعضهن البعض.. يتخللها بعض الحفر، التي حُفرت خِصيصًا للتواري من القذائف وقت شَنِّ الهجمات..

أما لو اقتربنا أكثر إلى الداخل ودلفنا من الباب إلى المبنى الذي يؤوي الجميع لوجدنا مدير الملجأ السيد فريدي هولمان وهو أشيب الشعر، وجهه يشبه ثمرة الطماطم الناضجة تمامًا.. له شارب كث يتدلى على فمه ويواري شفته العليا، مما قد يظن البعض أنه قد فقدها.. جسيم بعض الشيء، يتحرك بتؤدة شديدة..

يقف السيد فريدي واضعًا يديه خلف ظهره، ويرمق الصبيين اللذين وقفا أمامه يرتعدان.. وعيناه تضيئان شررًا وتنذران بالويل كذلك..

يفتح فمه ليتحدث فيخرج صوته أجش ضخم كأنه دلف إلى مؤثرات صوت أولًا قبل أن يخرج من فمه:

- كيف لكما أن تفعلا هذا؟

- لم نفعـــ...

قالها صبي فيهم، لكنه قاطعه مخرسًا إياه:

- لا تنكرا.. يبدو أنكما لا تخافاني.. حسنًا، سوف أمنع عنكما اليوم العشاء، وأخبراني كيف ستأكلان الليلة؟

بالطبع ود الصبيان أن يسألاه عن الذي وشى بهما، لكنهما لم يفعلا هذا..

- هذا ليس كل شيء.. فسوف أمنعكما من الخروج للعب ليومين متتاليين..

قالها السيد فريدي، ثم رمقهما ليرى تأثير تلكم الكلمات والعقوبات عليهما، فلم يرَ أثرًا، فثارت نفسه وشعر أنه قد جرح في كرامته، فأضاف وقد رفع صوته أكثر مما هو عليه ليضيف:

- أنتما لا تستحقان العيش في ذلك الملجأ.. أنتما حيوانان.. لذا إذا علمت أنكما قد كررتما فعلتكما هذه فسوف أفصلكما وألقي بكما خارج الملجأ.. فأنتما عنصران فاسدان.. وإن تركتكما ربما أفسدتما الصبية الباقين.

قالها فانحنى الصبي الآخر على يديه ليقبلها، وهو يضيف:

- صدقني لن نفعلها مرة أخرى يا سيدي، لكن.

صمت برهة، ليضيف السيد فريدي باستغراب:

- لكن ماذا؟

نظر إليه الصبي، ليضيف:

– لسنا وحدنا من فعل ذلك!

خلص السيد فريدي يديه منه، وهو يضيف متسائلًا:

– ماذا؟! لستما وحدكما!

– نعم.

قالها الصبي، ثم أردف:

– هناك نيكولاس فريمان.. وليودور ماثيمو..وتوماك هيموجان.. و...

حملق السيد فريدي في الصبي بذهول، ثم أضاف مُمْسِكًا إيَّاه:

– إذًا لقد تفشى المرض في الملجأ بأثره.. حسنًا هذا جميل.. ليكن.

قالها ثم أردف بعد أن وجَّه ناظريه لشخص نحيل رفيع الشارب يرتعد دائمًا:

– اجمع لي الجميع يا ميجيل..

قالها ثم أضاف صارخًا:

– حالًا.

ارتعد ميجيل هذا، ثم ترك ساقيه للريح..

***

5

تجلس إليزابيث لتتحدث مع القس أندراوس في مكتبه، الذي ينتفض في ضيق، وهو يضيف:

- كيف لك يا فتاة أن تفعلي ذلك؟

بتردد، وصوت يكاد ألا يخرج، تضيف مبررة:

- لا أعلم، لكن..

- ليس هناك لكن.. لقد ارتكبت خطيئة عظيمة، وبالطبع أتيت الآن لأن ضميرك يلح عليك.. وأردتِ أن تجعليه يصمت إلى الأبد.

يقولها مقاطعا إياها، وموبخًا، ثم ينظر إليها، ويضيف:

- وأين هو ذلك الوغد؟

يقولها، فتنظر إليه، والدموع تملأ عينيها، وتضيف:

– لن يعترف.. صدقني لن يعترف به.. بل لن يعترف أنه قد..

– وشقيقتك المريضة؟.. ألم تفكري فيها، ولو للحظة؟

قالها، ففاضت عينيها، وأخذت تبكي في حرارة..

عندئذ يدلف شاب ذو شعر أشقر ووجه منمش قليلًا يدنو من السابعة والعشرين من عمره تقريبًا إلى الغرفة.

سأله الأب أندراوس قائلًا:

– لويس هل تريد شيئًا؟

ارتبك لويس باراسونز هذا قليلًا، ثم أضاف بلسانه الذي تصيبه العلة:

– عذذذرا لمملمم اااا حسب أنكمما هناا..

قالها بعد أن توقف لبرهة لينظر فيها إلى إليزابيث متعجبًا، وهي تبكي، ثم إلى أندراوس، الذي نظر إليه، وأضاف:

– ألن تخرج؟

تلعثم لويس أكثر مما هو عليه من تلعثم، ثم خرج، وأغلق خلفه الباب.

عندئذ أخذت إليزابيث في النحيب، وهي تضيف متوسلة:

- أرجوك.. حلني يا أبي من خطاياي التي اعترفتُ بها ومن المستترة أيضا..

يدنو أندراوس من النافذة، وهو يضيف دون أن ينظر إلى إليزابيث، ويلتقط الصليب كذلك:

- حسنًا.. سوف أفعل.

***

- كيف تجرئين؟

يقولها تشارلز، وهو يصفع إليزابيث عدة صفعات، أدمت شفتيها.. فتضيف بصوت مبحوح وهي تصرخ، وتحاول الابتعاد عنه:

- كدت أن أنتحر لو لم أعترف إليه.

- سوف أقتلك أنا بيدي إليزابيث..

فجأة، تم فتح باب الكوخ، بعنف شديد ليبرز أحد الأشخاص مرتديا معطفًا، وملثمًا كذلك.. وقف ليرمق المشهد برمته، ثم أضاف بلؤم:

- أتود أن تقتل أم طفلك يا تشارلز؟

قالها ذلك الشخص، فاتجه تشارلز ناحيته ممسكًا فأسه، ومضيفًا:

- وما شأنك أنت أيها الرجل؟

قالها وأضاف مهددًا ومنذرًا بالويل:

- ارحل وإلا؟

قالها فأضاف الرجل بتؤدة:

- وإلا ماذا؟... لا بد أن تتحلل من جريمتك؟!

قالها الرجل لتشارلز، الذي لم ينتظر أكثر من ذلك كي ينطلق كالسوط، رافعًا الفأس في الهواء ومتجهًا ناحية الرجل، الذي أمسك بعباءته، وانحنى معها كي يمر من فوقه نصل الفأس، ثم وجه لكمة لا بأس بها إلى أسفل بطن تشارلز، الذي توجع لبرهة، ثم كاد أن يعيد الكرة، لولا أن باغته الرجل بأن غرس نصل السكين في مؤخرة عنقه من الخلف، مما جعله يتوقف عن الحراك، إلا من بعض التشنجات، ثم سقط على الأرض بلا حراك، وسط بركة من الدماء بدأت تتسع..

نظرت إليزابيث إلى جثة تشارلز غير مصدقة، وأخذت تنتفض ذعرًا.

توجه الرجل إلى جسد تشارلز، وانتزع السكين من رقبته، ثم سار ناحية إليزابيث، في تؤدة.

***

يجلس المحقق دوجلاس دراي على المقعد المقابل لمكتبه، وأمامه مساعده نيولاند جوستن يلعبان الشطرنج..

يمسك دوجلاس بقطعه الشطرنج، وهو يفكر في المكان التالي لنقلها، ينظر إلى عين مساعده التي ترقب الموقف، ثم يضعها على الرقعة، مُبتسمًا.

عندئذ يحرك نيولاند قطعة أخرى، بعد أن ينتزع قطعة تخص رئيسه من فوق الرقعة، وهو يضيف بصوت تعلوه نشوة الانتصار:

– لقد مات الشاه يا صديقي.

يضرب دوجلاس جبهته بيده، مضيفًا:

– يا لي من غبي! كيف لم أفكر في هذا.

يقولها فيرتفع صوت جرس الهاتف بإلحاح، فينهض تاركًا مساعده، الذي بدأ يعيد القطع لأماكنها تمهيدًا للعب مرة أخرى، لولا سماعه صوت صديقه، الذي رسم على وجهه علامات الغضب، ثم أغلق السماعة مرة أخرى، وهو يزفر في ضيق.

ترررن ترررن

مرة أخرى رنين الهاتف يدوي باستمرار، يرفع السماعة مرة أخرى، ليجد ذات الصوت، وهو يدندن لحنًا ما، ثم يضيف بصوت واهن:

– لا تغلق الهاتف مرة أخرى من فضلك..

لم ينتظر دوجلاس دراي أكثر من ذلك كي يصرخ ناهرًا الرجل، ومهددًا إياه، لكن الرجل قاطعه، وكأنه لم يسمع منه شيئًا:

– أنتَ مَنْ تحتاجُ إليّ..

قالها الصوت، ثم أضاف:

– لديَّ هدية تخصُّك..

– ماذا.. من أنت؟!

– خذ هذا العنوان..

وأخذ يملي عليه العنوان، ثم أغلق الهاتف دون كلمة أخرى، وقد ترك دوجلاس مبلبل الأفكار، ولا يفهم شيئًا على الإطلاق.

نظر إليه نيولاند وهو يضيف:

– ماذا هنالك؟

قالها ثم تناول الورقة التي خط بها العنوان، وقرأها بعينيه، وهو يضيف:

– ما هذا العنوان؟

نظر إلى صديقه نيولاند، وهو يضيف:

– لا أعلم، لكن.. ربما كانت هنالك مصيبة في الجوار.

قالها، ثم تناول معطفه، ووضع سلاحه في جانبه، وانطلق وخلفه صديقه، قاصدين ذلك العنوان.

***

دلف دوجلاس دراي إلى سيارته، وبجانبه استقر مساعده، وانطلقا إلى العنوان، الذي أعطاه إياه الرجل..

أخَذَ ينهب الطرقات نهبا، حتى دلف إلى الطريق الزراعي، ثم توقف إمام أحد الأكواخ، وقفز من السيارة كالملسوع ليتجه ناحيته، وقد أشهر مسدسه تحسُّبًا لأي هجوم ما قد يشنه عليه مجهول..

دق الباب مرة مرتين، ثم أضاف مساعده:

– ربما لا يوجد احد بالداخل، وان..

لم ينتظر دوجلاس أكثر، كي ينفض الباب بقدمه، ويصرعه أرضًا، ويتقدم بحذر إلى الداخل ليجد ما كان ينتظره!

***

بالداخل كان في انتظاره جسد مُسجًّى على الأرض، وسط دماء لم تتخثر بعد!

كان الجسد به طعنة نافذة، واضحة في العنق.. وعلى الحائط خُطّت بضع كلمات بالدماء تقول:

(أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا)

لم يحرك دوجلاس دراي ساكنًا، فقط أضاف:

– هذه هي الهدية إذًا.

***

6

من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

آذار 1939

في البداية لم أُعِرِ الموضوع اهتمامًا فقط قلت إنها مجرد هلاوس

بيد أن الأمر تكرر مرتين أخريين!

هناك صوت يُدوِّي في الكوخ بأكمله مرددًا اسمي ثم يتبعه بأنني المختار!

نهضت تاركًا فراشي من جانب ألكسندرا، وحاولت أن أصغي السمع أكثر، وأتجه إلى مصدر الصوت، لكنه وللعجب كان يتردد في

جنبات الكوخ بأكمله، فلم أستطع تحديد مصدره.. أمسكتُ ببلطتي، وخرجت إلى العراء، فهمد الصوت وانقطع!

***

أيلول 1953

وقف السيد فريدي وسط القاعة ينفثُ غليونه، ويحرق مع الطّباق أعصابه، ثم صرخ بصوت كاد أن يتردد في المكان لولا امتلاؤه:

- أيها الأوغاد.. سوف أحرمكم جميعًا من العشاء اليوم، وإن تكرر ذلك الفعل...

قالها ثم صمت لبرهة، كأنه تذكر كلمة سوف تجعله قويًا أكثر، فأضاف:

- بل لن يتكرر، وسوف أعمل على عدم تكراره، وإلا...

قالها وصمت لأنه لم يعرف تكملتها..

دارت الأعين فاحصة بعضها البعض لمعرفة من الذي وشى بهم،

فأضاف صارخًا للرجل النحيف ميجيل:

- الخطأ منك أيها الرعديد.. لو أنك مشرف بحق لما تركتهم يفعلون ذلك، لكنهم لا يهابونك، لأنك فأر لعين.

قالها فضحك بعض الصبية، فصرخ مرة أخرى ليخرسهم جميعًا، ثم انسحب إلى الخارج، وخلفه ميجيل.

***

يتكون الملجأ من مبنيين.. المبنى الأول يتكون من طابقين، الأول به غرفة المدير وهو السيد فريدي، وغرفة للمشرفين المختصين بالصبية، ولم يبقَ بها سوى ميجيل وقد تعرفنا إليه منذ قليل، أما الباقون فقد لقوا حتفهم أثناء إحدى الغارات الألمانية على المدينة.. وأخيرًا غرفة الأطباء، وبها توميسون جيف وهو طبيب كهل لا يكاد يرى بعينيه أصلًا؛ لهذا يرتدي عوينات غليظة العدسات.. ممتلئ، له كرش يتدلى أمامه، يلهث دائما كأنه قد فرغ حالًا من مجهود شاق قد بذله.

أما الطابق الثاني، فبه غرف الصبية وكل ما يحتاجونه.

المبنى الآخر عبارة عن طابقين طابق تقطن فيه الفتيات، والآخر به ساحة الطعام، وغرفة السيدة ليان وهي المشرفة الخاصة بالفتيات.

***

في إحدى هذه الغرف التي تقبع بالمبنى الأول يمكث نيكولاس فريمان، ووليودور ماثيمو..وتوماك هيموجان.. يتبادلون الحديث..

يقول نيكولاس، الذي على ما يبدو هو رئيسهم:

- ذلك الوغد.. إنه هو..

- مَنْ تقصد؟ هل تقصد مايكل هوارد؟

قالها ليودور، مجيبًا وسائلًا في الوقت ذاته، فرمقه وأضاف:

- نعم ومَنْ غيره.. ذلك اللقيط!

قالها وكاد الشرر أن يتطاير من عينيه، ثم أضاف:

- لقد علمتُ من ميجيل اللعين أن رجلًا من السادة قد وجده أمام الملجأ في يوم ما .. بعد أن ماتت أمه، عقب فرارها من أبيه ..

- صحيح.. لقد سمعت ذلك أنا أيضًا.. سمعت أنه بَتَرَ ذراعه، أو ربما لسانه، ثم ذَبَحَه!

قالها ليودور، ثم أضاف:

- لا لا لم يذبحه .. بل فر منه قبل أن يفعل .

قالها ثم أردف:

- بالفعل ذلك اللعين هو الوحيد الذي لم يكن معنا، وأبى أن يفعلها ..

أردف دونالد هيموجان بعد أن ضحك بسخرية:

- ربما لا يملك واحدًا أو أنه قد فقده أثناء الحرب.. هئ هئ هئ

قالها وشرع يقهقه هو ومن معه..

فأضاف ليودور:

- لنجعله يعترف بذلك.

- بل.

كاد توماك هيموجان أن يتحدث لولا أن أضاف نيكولاس بحزم أخرسهم جميعًا:

- بل نرى ذلك بأنفسنا!

***

7

دوّى صوت الكاميرات حول دوجلاس، لالتقاط الصور وتسجيل ما حدث بمسرح الجريمة، وبحثا عن الآثار المادية كذلك.. في حين أخذ مارك ستيوارت الطبيب الشرعي يفحص الجثة الملقاة على الأرض بدقة متناهية، ثم نظر إلى دوجلاس، وأضاف:

- إن وجود تلك البقعة الدموية الكبيرة حول وأسفل الجثة، يفيد بقاءها في مكانها، بعد الإصابة مباشرة، وعدم نقلها، خاصة عدم وجود آثار جرٍّ أو سحب على الأرض..

قالها ثم أضاف:

- الجسم دافئ بعض الشيء، والعضلات مرتخية.

صمت قليلاً، ثم أزاح الغطاء، الذي كان يغطي نصف الجثة السفلي، وأضاف:

- لا يوجد أي أثر لظهور رسوب دموي.

نفث دوجلاس دخان سيجارته في الهواء، ثم أضاف:

- وماذا يعني ذلك؟

قالها فأضاف الطبيب بعد أن شرع في فحص بقية الجثة:

- يعني أن الوفاة قد حدثت بصورة تقريبية خلال ساعة قبل المعاينة.

قالها ثم أضاف:

- هنالك جرح طعني (stab wound) نافذ في الرقبة من الخلف، وقد حدث بآلة حادة مُدبِّبة، وذلك لاختراق الجلد إلى غور الأنسجة العميقة، ومن ثم مرت بالغضروفة الدرقية (تفاحة آدم)، مما أدى إلى وقف التنفس والاختناق، الذي أدى بدوره إلى الوفاة.

تنهد الطبيب ثم أضاف:

- حواف الجرح منتظمة ومستقيمة، ومتخذة شكل نصل الأداة المستخدمة، وهي ذات نصل حاد واحد، لأن إحدى زوايا الجرح حادة والأخرى غير ذلك.. والأداة على الأرجح (سكين من الحجم المتوسط).

قالها، وبدأ في معاينة الجزء السفلي للجثة.

- لا بد أن القاتل قد باغته من الخلف، خاصة في حالة انعدام وجود أية آثار للمقاومة أو لأي عنف.

قالها الطبيب، وهو منهمك في الفحص، فأضاف المحقق بعد أن أشار إلى الركن الأيمن في الكوخ:

- لقد رأيتُ ها هنا آثارًا لشعر، لكني أعتقدُ أنه.. مم.. لا يخص ذلك الرجل.

قالها، فنهض الطبيب، واتجه إلى حيث أشار دوجلاس تاركًا الجثة، ثم وبعين الخبير التقط بين إصبعين غلفهما قفاز من المطاط عينة الشعر، وبدا في فحصها، ثم أضاف:

- هذا يدل على أن هناك مجني عليه آخر.. وهذا دليل مقاومته.

- قالها وهو يشير إلى المحقق، الذي أضاف:

- لا بد أن القاتل، قَتَلَ الرجل، ثم ذهب ليقتل الآخر لولا فراره.. مثلاً.

أضاف الطبيب، وهو يعود أدراجه إلى الجثة ليفحصها:

- هذا ليس مؤكدًا، فربما قتلها هي الأخرى، ثم حملها لمكان آخر، أو ربما أفقدها الوعي، ومن ثم حملها إلى مكان آخر، خاصة أن تلك العينة تخص أنثى..

- أنثى؟

قالها دوجلاس، بعد أن توقف عن التدخين للحظة، ثم أضاف بعد أن وجد الطبيب قد شرع في فحص الجزء الأسفل من الجثة:

- لقد لاحظت أن..

- العضو الذكري، قد تم بتره تمامًا.. بعد أن مزق البنطال بشيء حاد .. ربما مقص!

قالها الطبيب مكملًا، ثم أضاف:

- هناك تشوه واضح من أثر تدخل جراحي بدائي عند منطقة الجهاز التناسلي..وهذا التدخل نتج عنه استئصال القضيب (**penis**) بأكمله!

هذا رجل ليس محترفًا.. وعلى الأرجح أن عملية الاستئصال قد أجريت بعد الوفاة بفترة زمنية ليست بالطويلة.

***

كان بالخارج حشدٌ لا بأس به من الفضوليين والأصدقاء، وغير ذلك ممن له ناقة ولا جمل .. وكان من بين هؤلاء ألبرت، الذي دلف إلى الداخل مخترقًا الجمع، وبدوره تعرف إلى جثمان صديقه تشارلز، بعد أن أشاح بوجهه عن جثمانه، معبرًا عن بشاعة المنظر، ثم أطلق الكثير من السباب، وأخذ ينذر القاتل بالويل، ومن ثم انفجر في البكاء، والنحيب..

بالطبع تم تحريز الملابس، وإرسال الجثة إلى المشرحة الخاصة بالولاية، بعد تعرف ألبرت إليها..

بعد أن علم دوجلاس من ألبرت ومن الجميع أن الجثة التي هو بصددها هي جثة تشارلز ذلك الفلاح العنيد، لم يمض وقتٌ إلا وقد بدأ في استجواب ألبرت أولًا، ويليه كل من وقف تقريبًا، وبالترتيب.

***

حين شرع دوجلاس في التحقيق مع ألبرت، راعَى حالته النفسية، فلم يضغط عليه كثيرًا، وقرر أنه سوف يستدعيه مرة أخرى، عندما تتحسن حالته، لذا سأله في هدوء:

- أنت صديقه.. أليس كذلك؟

لم ينظر إليه ألبرت، فقط أطلق نحيبًا لا بأس به، ثم أضاف بصوت مبحوح:

- نعم.. نحن أقرب إلى الأشقاء.. لقد كان تشارلز كل شيء بالنسبة إلي..

قالها ثم أضاف:

- لقد قتلته.. لا بد أنها من فعل.. أؤكد لسيادتك ذلك، فلم يكن يوجد داخل الكوخ غيرهما صدقني..

تنهد دوجلاس، وأراح ظهره إلى الخلف، وهو يضيف:

– أنا لا أفهم شيئًا.. أرجو أن توضح لي.. إذا سمحت.. من هي، التي قتلته؟.. وكيف لك أن تتأكد أنها هي؟

أطلق ألبرت نحيبًا آخر، ثم أضاف، بعد أن التقط كوب الماء، الذي كان موضوعًا أمام دوجلاس، وجرعه في مرارة كأنه كأس من الخمر العفن، ثم مسح شاربه ومعه فمه بطرف كم معطفه:

– سوف أقصُّ عليك ما أعلمه بالتفصيل.

***

ما إن فرغ ألبرت حتى انصرف، ودلف إلى دوجلاس رجلٌ آخر.. رجل يبدو عليه الغباء، والتأخر العقلي فلم يحظ منه دوجلاس إلا بـــأشياء على غرار:

– حقًّا، لا بد أنه يستحق ذلك.. لقد كان شريرًا.. لقد كانا يسيران معًا.. لا بد أنها قتلته..

قاطعه هنا دوجلاس ليقول:

– من هي التي قتلته أيها الرجل؟

– هي.. الكل يعلم.. أنهما يسيران معًا..

– مَنْ تقصد بهي يا رجل؟

أردف الرجل وكأنه لا يريد أن يسمعه أحد:

- إليزابيث.. لقد كانا يسيران معًا .. لكن لا تخبرها أنني أخبرتك، لربما قتلتني أنا الآخر..

قالها الرجل، ثم أردف هامسًا كأنه يضيف شيئًا جديدًا ذي أهمية:

- لقد كانا يسيران معًا ..

عندئذ صرفه دوجلاس من أمامه، قبل أن يخرج مسدسه ويفرغ ما به من طلقات في رأسه..

***

أما ناتاليا فقد جاء دورها بعد أن تم استدعاؤها إلى حيث دوجلاس لتدلي بما تعرفه، فدلفت بتؤدة وهي تضيف:

- صدقني أنا لا أعرف شيئًا، ولا أعرف ماذا حدث.. كل ما أعرفه هو أن إليزابيث كانت تحب ذلك الرجل، و.. وترافقه.. على الرغم من أنه زوج أختها..

- أختها!

هنا وقعت هذه الكلمة في رأس دوجلاس دراي، فأضاف:

- إذًا ربما تكون هي من فعل ذلك؟

لماذا لم يصرخ في أحد رجاله كي يستدعي أخت إليزابيث، لولا أن [illegible]

- صدقني ليست هي.. ولن تفيدك.. إنها صماء، وبكماء، بالإضافة إلى ذلك ملازمة لمقعد متحرك.. إنها قعيدة صدقني .. قعيدة.

رمق دوجلاس الأفق، ثم أضاف:

- ووالدتها؟

أضافت نتاليا بذات النبرة:

- إنها سيدة عجوز مريضة، أعتقد أنها لن تفيدك بدورها.. صدقني.

أومأ دوجلاس برأسه في أسًى، بعد أن قال في نفسه: إن القضية كانت في طريقها إلى الحل، ثم أضاف بعد أن نظر إلى نتاليا:

- أرجو أن تخبريني بكل ما تعرفينه عن إليزابيث.

هكذا تنهدت نتاليا، وبدأت في سرد كل ما تعرفه عن إليزابيث منذ البداية، و حتى إصرارها للاعتراف للكاهن جنيور.

***

في اللحظة التي كان فيها المحقق دوجلاس منهمكًا في التحقيقات الخاصة بمقتل تشارلز كان هناك شيء قد تم اكتشافه من قبل هذه المجموعة من الصبيان بالقرب من النهر تمامًا.. فقد لفظ النهر جثمان إليزابيث، ليلقي بها على ضفافه..

في رسالة منه، وكأنه يأبى أن تتهم تلك البريئة، وليفصح عن براءتها..

حين رأى أحد الصبية الجثة، وهي مكومة بالقرب من النهر، نادى صارخًا على البقية من أصدقائه، الذين ركضوا إليه، حتى وصلوا إلى حيث هو، وحيث وجود جثمان إليزابيث، ما إن رأوا الجثة حتى ركضوا صارخين في الطرقات معلنين للعالم بأثره على عثورهم على كنز بالقرب من النهر مرددين كلمة غريـــــــــــــق..

***

وصل الأمر السيد دوجلاس، فهبَّ واقفًا، بعد أن دلف أحد رجاله، مُعلِنًا:

- لقد وجدوا جثة لفتاة.. بالقرب من النهر..

***

8

حين وصل فريق التحقيقات، يقودهم بالطبع، السيد دوجلاس انتشر رجال الفحص يلعنون اليوم، الذي التحقوا فيه بتلك المهنة الشاقة..

بعد قليل أعلن الطبيب الشرعي، الذي لم يكن قد غادر بعد مع جثة تشارلز، إنها امرأة، وليست فتاة..

تم تقطيع ملابسها، وهذا يدل على الصراع الدامي، الذي واجهته قبل القتل، هناك فراغ في فروة الرأس من الشعر.. يبدو ملائمًا له ما وجدوه من خصلات الشعر داخل الكوخ.. لا يوجد حالة اغتصاب، أو لنقل لن يستدل على ذلك، أو يصعب ذلك.

هناك سحجات ختمية هلالية الشكل ظاهرة على الرقبة مصدرها أظفار يد القاتل

هناك كذلك تورُّم جلدي، مما يؤكد نظرية الخنق اليدوي، هناك كذلك ازرقاق وبقع نزفية مختلفة في الوجه وملتحمة العين، لم يبدل الماء أو يمحو منها شيئًا.

هنا صمت مارك ستيوارت الطبيب الشرعي، وتنهد مضيفًا، بعد أن نظر إلى دوجلاس، الذي كان جاثيًا على ركبتيه إلى جواره، وأخذ يرمق الجثة معه:

– هذه السيدة تم خنقها، ثم تم إلقاؤها في النهر.. هذا ما حدث.

بالطبع كان هناك جمع لا بأس به قد التف حول الجثمان وحول دوجلاس ومارك ستيوارت كأنهم حواة..

ووسط كل ذلك انسلت نتاليا من وسط الجمع بتؤدة حتى صارت على مقربة من الجثة، ثم صرخت، بعد أن أشاحت وجهها، وأجهشت في البكاء..

نهض دوجلاس، ليقف منتصبًا أمامها، وهو يضيف، بعد أن وضع يده على كتفها مهدئًا:

– إنها هي.. إليزابيث.. أليس كذلك.

ودون كلمة أخرى، أومأت نتاليا، برأسها معلنة أنها هي، دون أن ترفع معصم يدها عن وجهها كي تمنع نفسها من مشاهدة صديقتها، وقد صارت جثة هامدة، بعد أن كانت مثالًا للجمال الإغريقي منذ ساعات قليلة.

***

9

من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

نيسان 1939

عاد الصوت مرة أخرى بعد انقطاع دام شهرًا كاملًا، وكان يحدثني!

يحدثني أنا بشخصي!

قال لي حينها ألّا أُخبرَ أحدًا بذلك، حتى ألكسندرا!

وقال لي أيضًا إنني المختار!

ثم ذهب مرة أخرى!

لم أفعل شيئًا وقتها إلا الكتمان ..

فقط كل ما دار في خلدي شيئان: الأول هو من يخص ذلك الصوت؟ وثانيهما ما معنى مختار؟!

***

أيلول 1953

- صدقني إنها تميل إليك.. أنا أعلم هذا.. لقد أخبرتني صديقتها هذا .. إنها تحبك مايكل .. تحبك .

قالها كيد بروك لمايكل هوارد الذي سار إلى جواره شاردًا تمامًا، فأردف كيد هامسًا حتى لا يسمعه أحد:

- أم أنك كما يقولون؟!

عندئذ توقف مايكل هوارد عن السير دفعة واحدة كأنما لدغه ثعبان، وأضاف متسائلًا، ونافيًا كذلك:

- من؟ أنا؟ لا طبعًا.. ماذا يقولون؟

التفت إليه كيد، وأضاف:

- مايكل أنت صديقي بحق، لا تخفي عني شيئًا.. ثم إن ذلك ليس بالعيب، وليس لك فيه تدخل، إنه عيب خِلْقي.

أطرق مايكل برأسه في أسى، وأضاف هامسًا:

- أنا طبيعي كيد.. طبيعي.

***

– هل فهمتما ما الذي سوف تفعلانه؟

قالها نيكولاس لرفيقيه في الساحة الخلفية، خلف المبنى الخاص بالفتيات، والذي به المطعم أيضًا، بعد أن فهمهما ما سيفعلانه جيدًا، ثم همَّ بالانصراف ناحية ساحة الطعام، لأن وقته كان قد دنا.. فوجدوا كيد صديق مايكل يهم بالذهاب إلى المطعم، فهو يعمل داخله.. يساعد في إعداد الطعام، وربما غسل الصحون كذلك مقابل حفنة أموال كل سنة تذهب إلى صندوقه، الذي لا يعلم أين هو.

أمسك به نيكولاس من تلابيبه، وهو يضيف:

– أنت أيها الصرصور أرجو أن تبتعد عن طريقي، وعن صديقك هذا، فسوف أجعل منه عبرة لمن يعتبر، وإن تدخلت فسوف أسْحَقُ رأسك تحت عجلات الدبابات الألمانية.

هكذا قالها، وتركه يتملص من يده ويفر هاربًا إلى المطعم.

***

دلف مايكل هوارد إلى الردهة الخاصة بمبنى الفتيات، والتي يقبع بها ساحة المطعم، لينضم إلى الباقين، حتى يحين موعد الطعام..

بعد قليل دلف نيكولاس والخبيثان الآخران، يرمقانه، ويراجعان الخطة مرارا في نفسيهما.. لم يبالِ مايكل وتظاهر بأنه مشغول في أي شيء.

في تمام الثانية والنصف ظُهرًا دلف الجميع إلى ساحة المطعم، وأخذوا في الانتشار على المقاعد كالنمل..

كان لكلّ صبي وجبة واحدة فقط، حساء وبعض الخضراوات المطبوخة.. ورغيف من الخبز، وربما قطعة لحم أو دجاج .

ولكل صبي صحن به مكان مخصص لتلقي كل تلك الوجبة، لكن عليه أولًا أن يقف في الطابور ليتلقى من الطاهي ما يضعه من طعام في صحنه.

وقف مايكل هوارد قليلًا حتى ملأ صحنه من صديقه كيد، ثم جلس على المائدة المقابلة لنيكولاس ورفيقيه، وأخذ يتناول غداءه في صمت، متجاهلًا كم الهمهمات والإشارات الخفية تجاهه منهم.

عندما دلفت: ماريا! حقًّا جميلة هي هذه الفتاة! بل إنها الجمال يسير على قدمين من الشمع .. إنها تحبه أو هكذا أخبره صديقه كيد.

توقف مايكل عن الطعام، وأخذ يتابعها بعينين حزينتين، ثم.. دون قصد ارتطمت يديه بطرف الصحن، فسقط الصحن بما فيه عليه بالأرض، فهبّ واقفًا وسط ضحكات الجميع..

لم يدر ما الذي يفعله، فقط همَّ بالانصراف من المكان بأثره، لولا أن نبهه نيكولاس بأن وقف أمامه مباشرة، وهو يضيف بصوت منخفض كأنه رئيس عصابة:

- أنت من فعلها أيها الفأر.

قالها فلم يفهم مايكل ما يرمي إليه، فحاول أن يتملص منه، إلا أنه دفعه إلى الخلف، فتراجع خطوتين إلى الخلف، فاصطدمت قدماه بجسد ليودور، الذي قبع بجسده خلفه تمامًا كي تزل قدماه، ويسقط أرضًا وسط القاعة..

هَمَّ بالنهوض، فلم يعطه توماك هيموجان، ولا ليودور فرصة لذلك، فقد قيداه جيدًا حتى يقوم نيكولاس بفكٍّ قيود ملابسه، وتحريره منها بالكامل، وسط صراخ الكثير من الفتيات، ومشاهدة الصبية دون أن يتحرك أحدهم، ومن بينهم صديقه، الذي أراد أن يترك ما يفعله ويذهب إليه، لولا أن رَمَقَه نيكولاس بنظرة جعلته يمكث ليشاهد في صمت كالباقين..

أخذ المشرف النحيل يصرخ في الجميع دون أن يملك الجرأة لتفريقهم، فتركهم وذهب ليخبر السيد فريدي مدير الملجأ بما يحدث.

ما إن فرغ نيكولاس من تجريده من ملابسه حتى انفجر معظم من بالمطعم في الضحك على شدة صغر عضوه الذكري..

هم الثلاثة بالوقوف ليشاهدوا جسده العاري،ويقهقهون بدورهم، ثم أضاف توماك هيموجان:

- ألم أقل لكم إنه لا يملك واحدًا..

هئ هئ هئ

عندئذ فر مايكل عاريًا من ساحة المطعم، إلى حيث الردهة، ثم إلى خارج المبنى ليصطدم بالسيد فريدي ويسقط أرضًا أمامه، ليتلقفه السيد وسط ذهوله مما رأى، كان مايكل قد انفجر في البكاء والنحيب، وكان المشرف النحيل قد قَصَّ على السيد فريدي ما حدث بأكمله.

***

تملّص مايكل من يد السيد فريدي بعد أن أنشبَ أسنانه بها ليفك وثاقه، وأخذ يركض فارًا من المبنى، ثم إلى حيث الباب الرئيسي للملجأ، لكنه وجده مغلقًا، فأخذ يضرب الباب الحديدي بكلتا يديه، ثم خارت قواه وسقط على الأرض بلا حراك، ليغيب عن الوعي تمامًا.

***

10

- اعذرني أيها القس، لكن كان علي أن آتيَ إليك، لأن اسمك قد ذُكِرَ في تلك القضية.

قالها دوجلاس، وهو يجلس أمام الأب أندراوس، في مكتبه بالكنيسة، الذي نظر إليه بدوره، وأضاف:

- لقد تشرفتُ بك.. لكن.. هنالك ذلك الميل الغريب، الذي يجعلني أشعر بعدم الراحة نحو توجيه الأسئلة ويوم الحساب..

قطع حديثه وكأنه لا يريد أن يكمل، ليضيف:

- حسنًا، ما الذي تريده مني الآن؟

نظر إليه دوجلاس، ثم عبث بجيوب سترته، ليخرج علبة [illegible] السجائر، أشاح بها ناحية الأب، وهو يضيف:

- هل من الممكن أن أدخن أم...؟

لم يعره الأب اهتمامًا، فقط نهض واقفًا، وأخذ يجوب المكان ومعه صوت قرع نعاله على الأرض الخشبية، ثم أضاف، بعد أن وَقَفَ أمام النافذة:

- أرجو أن تخبرني بسرِّ زيارتك تلك.. لدي أعمال.

نفث دوجلاس دخان لفافته في الهواء، ثم أضاف:

- الزبابيث.

رمقه الأب بطرف عينه، ثم أضاف:

- ماذا عنها؟

[illegible] فأضاف دوجلاس بعد أن دهس رماد لفافته في نعل حذائه، [illegible] فلم يجد مطفأة، وأضاف:

- [illegible].. أليس كذلك؟

[illegible] وأضاف:

[illegible] أحدهم، وأخبرني أنك كنتَ آخر من رآها.. أنت، [illegible]

[illegible] نفسًا آخر من اللفافة، وأضاف:

- [illegible]

دون أن يلتفت إليه الأب، أضاف:

- وماذا في ذلك؟.. لقد كانت هنا لتعترف.

- بماذا؟

قالها دوجلاس، فالتفت إليه الأب، وأضاف في حدة:

- وما شأنك أنت؟

ابتسم دوجلاس، وأضاف ببرود:

- لا شيء.. أنا أسف إن كنتُ قد أزعجت سيادتك أيها الأب، لكن..

قالها ثم أردف:

- إنها جريمة قتل..

- وما دخلي أنا؟

قالها الأب بحدة مرة أخرى، وأضاف:

- هذه الأمور سِرٌّ.. بين الكاهن، والمعترف، ولا يجب أن أخبرك بذلك السِّرِ أيها المحقق..

عندئذ سحق دوجلاس ما تبقَّى من اللفافة تحت قدميه، وهو يضيف:

- حسنًا.. لقد أتيتك، ولم أرد أن يكون الأمر رسميًا.. صدقني، إن أخبرتني سيكون الأمر سِرًّا..

قالها ثم أضاف:

- إن لم يكن في صلب القضية.

رمقه الأب بعينين ناريتين، ثم أضاف وهو يتقدم إلى مقعده الجلدي الوثير:

- حسنًا.. سوف أخبرك.

فرغ الأب من الحديث مع دوجلاس بعد أن قَصَّ عليه ما حدث.. فأضاف دوجلاس وهو ينهض منصرفًا:

- شكرًا لك أيها الأب..

قالها ثم دنا برأسه للداخل بعد أن كان خارجه، وأضاف:

- لقد وجدنا في مسرح الحادث هذه الجملة.

قالها وناوله ورقة مطوية خط فيها:

- أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا.

ناول الأب الورقة وقرأ ما فيها، ثم أضاف:

- هذه من الكتاب المقدس.

قالها ثم أردف:

- من كتبها؟

قالها فأضاف دوجلاس:

- هذا ما أريد أن أصل إليه.

***

خرج دوجلاس من عند الأب أندراوس ليدخل إلى الأب جريجوري موريس، الذي نهض مُرحِّبًا، ثم دعا دوجلاس للجلوس معه قليلًا ..

وَرَحَّبَ دوجلاس بهذا، ثم سأله إن كان يعلم شيئًا بصدد الأب أندراوس وتلك الإليزابيث أم لا؟ ثم انصرف شاكرًا.

دلف بعدها إلى رئيسهم الأب سباسيتان رَحَّبَ به بصلعته وعرقه الغزير، وأخذ منه بعض الكلمات، ثم انصرف أيضًا شاكرًا إياه.

***

خبر في صفحة الحوادث بمجلة (الولاية)

مصرع عشيقين على يد قاتل مجهول...

في كوخ يبعد عن البلدة بكيلومترات شهد مقتل الفلاح تشارلز، وعشيقته إليزابيث على يد مجهول، علمًا بأن الأخيرة هي شقيقة زوجة تشارلز القعيدة..

وقد أكدت مصادر خاصة بالمجلة أن القتيلة قبل أن تموت أصرت على الاعتراف على يد الأب جنيور سايمون، وهذا ما حدث بالفعل، إلا أنها لم تلبث وقُتلت على يد المجهول.. الذي قتل عشيقها الآخر بعد أن غرس نصل السكين في عنقه من الخلف، وفقًا لما أَخْبَرَ به الطبيب الشرعي مارك ستيوارت، الذي – وخلال عملية التشريح – اكتشف أن الضحية تم خنقها حتى الموت، وبعد ذلك تم إلقاؤها في مياه النهر..

وقد أكد الطبيب بعد أن فحص جثة تشارلز أنها قد تم استئصال العضو الذكري منها بالكامل.

ولم تعرب التحقيقات التي حصل عليها رجال اسكوتلانديارد عن أي شيء حتى الآن.

السؤال الآن هو: هل القاتل قد ارتكب تلك الجريمة الشنعاء بدافع نفسي أم، لا؟

بل السؤال الأهم الآن هو: هل نحن بصدد قاتل تسلسلي؟

كتبته مارجريت بيير

***

جلس دوجلاس على مكتبه وسط الأوراق التي تناثرت عليه هنا وهناك يتجرع قدح القهوة البارد في مرارة، ثم يتبعه بنفسٍ من لفافة

التبغ المائة، ويضيف قاطعًا ذلك الصمت المطبق، دون أن ينظر إلى مساعده نيولاند الذي طفق يعبث في الأوراق:

– لقد أنهيتُ التحقيقات، ولم تفصح لنا عن شيء حتى الآن.. لا أعلم.

قالها وأخذ يفكر بعد أن زفر دخان لفافته في الهواء صانعًا كرة من الدخان، أخذ يتأملها بتؤدة حتى تلاشت، ثم أضاف:

– لقد أثار ذلك الأب..

قالها ثم عبث في الأوراق التي تقبع أمامه، حتى التقط إحداها، وأضاف:

– أندراوس .

قالها ثم أضاف:

– إنه الأقرب، لكن.. ليس هناك أدلة.. ليس هناك دافع..

نظر له نيولاند في يأس وهو يضيف:

– ليس معنى رؤيته للضحية قبل قتلها أنه هو مرتكب الجريمة، وليس معنى أن هناك جملة قد كتبت من الكتاب المقدس في مسرح الجريمة يكون هو من كتبها.. ثم كيف لك أن تتهم قسًّا بتلك الجريمة أيها الرجل؟، دون أن يكون لديك أدلة قاطعة، هل تريدنا أن نرحل

من هنا بعصيبة.. أنت لا تعرف كيف سيكون رد فعل الكنيسة آن ذاك؟

دفن دوجلاس عقب السيجارة في المطفأة، ثم أضاف:

– عندك كل الحق.. لكن بارتيابي هذا أحاول أن أمسك بطرف الخيط..

قالها ثم أردف:

– شاهد دبوسًا والتقطه، وانظر كيف سيكون حظك سعيدًا طوال، اليوم.

قالها ثم أضاف، بعد أن أمسك الورقة مرة أخرى:

– لم يتبقَّ لي إلا.. ممم .. الشماس لويس بارسونز.

قالها ثم صمت برهة ليضيف:

– وأرجو أن يكون حظي سعيدًا، على الرغم من عدم التقاطي لذلك الدبوس.

***

11

من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

نيسان 1939

لقد كلفني الرب أن أجْمَعَ كل مَنْ أستطيع معي من التائبين .. أما من لحقت به خطيئة فلأحلله منها ..

بعد أن أيقنت أنني المخلص الأسمى ..

سوف أحلل الجميع من الخطايا .. سوف أخرج الجميع من حالهم هذا إلى الأفضل .. سوف أُغيِّر العالم إلى الأفضل فقط فليعطى الجميع فرصة لفعل ذلك .. وإن لم يفعلوا فعلتُها بالقوة فإنَّ يَدَ الرب معي .

***

أيلول 1953

أفرغ توميسون جيف الطبيب ما بمحقنه من دواء، ثم أضاف بعد أن نظر إلى السيد فريدي:

– سوف يصبح بخير حال، لكن ما الذي حدث له؟

قالها فأومأ السيد فريدي برأسه، ثم أضاف بوقار مصطنع:

– سوف أُعاقِبُهم جميعًا على هذا، سوف ألقي بهم خارج الملجأ هؤلاء الدهماء، إنهم مجرد حيوانات.. لا يستحقون العيش هنا.

قالها كأنها إجابة كافية، فأضاف الطبيب في أسًى كأنه علم من إجابة السيد ما حدث:

– ارجو أن يصير بخير.

***

دلف السيد فريدي إلى قاعة الطعام، وقد حسم الأمر بمعاقبة الطهاة عقابًا شنيعًا

وقف في وسط القاعة، وصرخ ليمطرهم بالكثير من السباب، ثم صفع كلًا منهم صفعة كانت جديرة بأن يفقد الذاكرة، قبل أن [illegible]

- هكذا سوف يسجن كل واحد منكم في غرفة بمفرده، ولن يغادرها، أما عن الطعام فمحرومون منه في الإفطار والغداء، وربما العشاء إن لم أكن رائق المزاج

قالها ولم يتفوَّه أحدهم ببنت شفة، ثم انصرف وسط نظرات جميع الجالسين.

***

في التاسعة مساء نهض كثيرٌ مَنْ بالملجأ على صراخ مايكل الشنيع، الذي يصم الآذان!

نهض السيد فريدي فزعًا، واتجه إلى غرفة الطبيب ليجده، بعد أن أرسل المشرف النحيل إلى غرف الصبية كي يهدأ من روعهم وحتى لا يحدثوا أي فوضًى

في داخل غرفة الطبيب كان مايكل في حالة من الهياج التام، وأمامه الطبيب يحاول جاهدًا في السيطرة عليه، إلا أنه لم يستطع، فهرول السيد فريدي ناحيته، وبدأ في تقيده، في حين شرع توميسون في ملء محقنه بمادة الفينوباربيتون المهدئة والمخدرة

ثم أخذ في إفراغها في ذراع مايكل، الذي ما إن دلفت إلى أوردته واختلطت بدمائه، حتى رمق الطبيب، ثم السيد فريدي، و.. وغاب عن الوعي، وهدأت ثورته.

***

- أرجو أن تخبرني ما الذي يحدث؟

قالها السيد فريدي للطبيب، الذي عَدَّل من وضع عويناته، وارتبك قليلًا، ثم أضاف:

- لا بد أنها صدمة عصبية شديدة.

قالها ثم أضاف في حذر:

- لكن لا بد من نقله إلى أقرب مشفى.

- ماذا؟

قالها السيد فريدي للطبيب، الذي ارتبك أكثر، وأضاف:

- الغرفة هنا لا يوجد بها أجهزة....

- ماذا؟

- حسنًا، سوف أفعل ما بوسعي.

***

12

– لقد استدعيتك يا سيد لويس كي أتحدث معك بصدد ما تعرفه عن إليزابيث و.. الأب أندراوس، لقد سألت الجميع، ولم يبقَ سواك .

قالها، فرَمَقَه مساعده في نظرة ذات معنى، فأضاف الشماس لويس بارسونز بلسانه الذي التهمته العلة:

– للا.. اععععررررف ششderيئا.. كككل ممما رررأأأأ يته هههههر ااااننهههههمماا جججلللسسسا سسسويييا ففففيي غغغررفة الاااب ججججنيوور ثثثثم ددلللفت ااالليييهممماا دددووون السل اااعلللم ببووجوووددهمما، ففللللاابيد ااااننننههههاا كككاالسل تعتتترففف له .

فرغ لويس من حديثة الممتع، فأضاف المحقق، بعد أن علم أنه لو سأله مرة أخرى، فسيبيت إلى اليوم التالي حتى يعرف الإجابة، وأن التحقيق مع ذلك الرجل ليس ذا أهمية كذلك:

– حسنًا.. أشكرك أيها السيد لويس على معلوماتك المهمة جدًا، وإن احتجت إليك فسوف أبعثُ إليك.. تشرفت بقدومك.. تفضل.

قالها، وهو يشير إلى الباب..

في تلك اللحظة دَقَّ الباب ففتحه نيولاند، ليفصح عن مارك ستيوارت الطبيب الشرعي، الذي أشار إلى لويس مُحييًا، حين دلف هو بعودة إلى حيث الجمع وخرج الأخير، وهو يضيف:

– عُذرًا.. لقد أتيتُ لأمرٍ مُهمٍّ.

قالها فأشار دوجلاس إلى أحد المقاعد، فجلس مارك، وأخذ يدس نظارته أكثر داخل عينيه، ثم أضاف:

– هنالك جريمة قد حدثت!

– ماذا؟!

قالها نيولاند، الذي قفز ليجلس على فوق ظهر مقعد من المقاعد، وهو يضيف بشغف:

– قتل؟

– لا.. هتك عرض.

هنا تحدث دوجلاس قائلًا:

– هتك عرض؟!

– نعم..

قالها الدكتور مارك ستيورت، ثم أضاف:

– لقد ذهبت برفقة والدة إليزابيث، وشقيقتها إلى مصلحة حفظ الجثث كي أسلمهم الجثمان، إلا أنني ارتبتُ في هيئة الجثة ووضعها.

– كيف؟.. أرجو أن توضح أكثر إذا سمحت..

قالها دوجلاس، بعد أن أشعل لفافة من التبغ من علبته الخاصة، ولوح بها ناحية الطبيب كنوع من (العزومة)، فأخذ منها الأخير واحدة، وأشعلها بقداحته، وأضاف:

– الجثة من الطبيعي أن تكون في مكانها في الثلاجة، لكنني عندما ذهبت لم أجدها داخلها.. بل كانت على إحدى الطاولات التي يتم التشريح عليها، مما جعل الأمر مُريبًا لي.. وعندما فحصت الجثة على عجل لاحظت أيضًا أن درجة حرارتها ليست منخفضة، بل كانت دافئة نوعًا ما..

– كيف؟ ألم يتم انتشالها من النهر؟

قالها نيولاند، وأضاف:

– هل تقصد أن...؟

قاطعه الطبيب قائلًا:

- نعم.. فعندما فحصت نصفها السفلي وجدت أن بها تلوثات منوية، وهذا دليل قاطع على... هنا قاطعه دوجلاس مضيفًا:

- ربما كانت تلك الآثار قديمة.. أو...

- لا.. ليست كذلك..

قالها الطبيب مارك مقاطعًا، ثم أضاف شارحًا:

- إن التلوثات المنوية الحديثة سهلة التشخيص نظرًا للزوجتها، ورائحتها النفاذة.

تبادل دوجلاس النظرات مع مساعده، ثم أضاف:

- حسنًا.. فيمَن ترتاب؟

- ربما كان رجال الحماية المدنية.. وربما كان الـ... العامل الخاص بحفظ الجثث.

***

وهكذا نهض الجميع وغادروا المكتب في طريقهم إلى المركز المحلي للوقاية المدنية وبعده إلى مصلحة حفظ الجثث.

في المركز المحلي لم يجد المحقق أو من معه ما يثير الشك أو الريبة في العمال، لذا انتقلوا فورًا إلى المصلحة..

***

في هذا الكادر نرى تلك البناية المحاطة بسياج من الحديد لجعل المكان آمنًا بما يكفي لعدم اقتحامه.. ولو تقدَّمنا بضع خطوات، سنرى أن تلك البِناية قد خُطَّ على واجهتها: "مشرحة ريدنغ".. ولو دلفنا إلى الداخل وسرنا في ذلك الممر، سنجد ذلك الباب الخشبي في نهايته بعد أن نَمُرَّ بذلك المُنعطف وقد خُطَّ عليه "مصلحة حفظ الجثث"..

هنا يعمل ويل هاريس عاملًا للمشرحة..يتسلم الجثث ليضعها لديه بمصلحة حفظ الجثة حتى يحين تشريحها من طرف الطبيب المختص.. أو في انتظار أن يتم التعرف إلى صاحبتها في حالة إذا ما كانت هويتها مجهولة بحكم عدم وجود أية بطاقة للتعريف أو وثيقة تساعد على كشف معلومات عنها أو عن عملها أو أسرتها.

الآن نجده يجلس يرشف القهوة في تلذذ، واستمتاع كأنه يملك العالم بأثره.. يجلس على مقعد من الخشب، ويسند كاحليه على آخر خشبي.. يدندن لحنًا ما لأغنية مشهورة ربما، سوف يرشف القهوة، ثم يدلف إلى الداخل كي يستلقي على أحد الأسرة، ومن ثم ينام إلى الصباح، حتى يأتي تيم توماس ليتسلم منه النوباتجية..

شروووووف.. يرشف مرة أخرى، ثم...

ترااااااكم!

تنقطع الكهرباء عن المشرحة.. يزيح قدميه عن المقعد، وينهض بعد أن يضع قدحه على الأرض، ثم يتجه إلى مكان الكابينة.. ثم

ترررررررررررررك!

يدوي ذلك الصوت، في المكان، فيلتفتُ مذعورًا، وهو يتساءل: مَنْ هناك؟

لكن لا رد!

ترررررررررك!

مرة أخرى يدوي الصوت.. هنا يصرخ بصوت متحشرج:

— مَنْ؟

يقولها وهو يسير في تؤدة عبر الممر المؤدي إلى الباب الخشبي، الذي يؤدي بدوره إلى الحديقة في الخارج.

يشعر بأن هناك مَنْ يدنو منه في تؤدة، فيصرخ مرة أخرى، لكن هذه المرة مُهَدِّدًا، ثم يعبث في طيات جيوبه، ليخرج علبة ثقاب، يشعر بأن صوت الخطوات يقترب أكثر ناحيته، فيفتح العلبة بذعر شديد فيسقط الكثير منها على الأرض، لكنه ينجح في التقاط عود، ومن ثم إشعاله..

يضيء للحظة كانت كفيلة بأن يرى تلك الجثة ملقاة على الأرض، يتقدم بضع خطوات ناحيتها وهو يرمق اللهب المتراقص

للثقاب، الذي لن يُصمد طويلًا، ثم يجثو على ركبتيه كي يتبين من تخص..

يلقي نظرة ثم ينهض بعد أن تبين أنها لفتاة..

ترررررررررك!

يسمع الصوت مرة أخرى، لكنه أقرب هذه المرة.. يلتفت ليصطدم بشخص ما فيسقط عود الثقاب وينطفئ..

كاد أن يصرخ لولا أن احتبست الصرخة في فيه، لأنه شعر بيد ذلك الشخص، وهي تقبض على خصيتيه لتعتصرهما!

حاول أن يتملص منه، لكنه لم يستطع فعل شيء.. فقط أصدر أنينًا، وأخَذَ يرتجف من فرط انفجار إحدى خصيتيه..

ثم شعر بنصل السكين يمر فوق عنقه قاطعًا شرايين وأوردة رقبته، مرسلًا إياه إلى العالم الآخر.

***

توقف دوجلاس بسيارته أمام السور الحديدي الخاص بالمصلحة، والذي بدوره يجب أن يكون مغلقًا، لكنه لم يكن كذلك..

عبر الثلاثة البوابة الحديدية بحذر بالغ.. عندئذ نحوا ذلك الجمع، الذي وقف أمام الباب الخشبي كي يرى ما هنالك في فضول وشغف..

ركض دوجلاس، ومن خلفه نيولاند إلى حيث ذلك الجمع، وأخذ يدفع البعض، حتى دلف إلى الداخل، حيث استقبلته جثة ويل هاريس عامل المشرحة!

***

تسمر دوجلاس أمام الجثة الغارقة في دمائها، حين انحنى الدكتور مارك، الذي دلف خلفه في تؤدة بعد أن أفرغ لياقته في دقيقة من الركض، ثم جثا على ركبتيه، وبدأ في فحص الجثة ميكانيكيًّا قائلًا:

– هناك آلة حادة.. سكين..

قالها ثم أضاف بعد أن رأى الجزء الأسفل من جثة ويل:

– لقد تم استئصال العضو الذكري تمامًا!

هنا كان دوجلاس قد دنا من جدار ما قد خط عليه ذات الكلمات..

(أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا).

فأضاف مُحدِّثًا نفسه:

– إنه هو ذاته.. لا بد!

***

هنا شقت مارجريت الصحفية النشطة من مجلة الولاية الصفوف، وخلفها صديقها الأسمر ويليام وارس حاملًا كاميرته الخاصة، وتوقفت إلى جوار دوجلاس وهي تضيف:

- هل نحن بصدد قاتل متسلسل.. فهذه ليست المرة الأولى؟

قالتها مارجريت تلك الصحفية النشطة لدوجلاس، الذي نظر إليها في ضيق مضيفًا:

- ليس بعد..

قالها، ثم أمسك معصمها برفق، وأضاف وهو يهمس في أذنيها:

- ألن تكفي عن ذلك؟

نظرت إليه مارجريت بعد أن حررت يدها من قبضته الواهنة، وأضافت:

- لم تترك لي خيارًا يا دوجلاس.

قالتها ثم توارت وسط الحشود الموجودة..

وقف يرمقها قليلًا إلى أن ذابت وسطهم، ثم انصرف بعد أن أوما برأسه في أسًى واضحٍ.

***

13

صفحة من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

25 من نيسان 1939

ابني الكبير مارك هاورد سايمون .. سرق وكذب علي،

الحرب ما زالت دائرة، لم تتوقف بعد .

هناك الكثير من القتلى .. الكثير من الخراب .. الكثير من الدماء .. لا محل اهتمام وذوق الصبية يتغير حتمًا إلى الأسوأ إلى جو يناسب الحال الذي يعيشونه ..

لك أن تتخيل أن لعبتهم المفضلة، هي سرقة الموتى مثلًا ..

وهكذا كان مارك ابني ممن يلهون ويمارسون تلكم اللعبة ..

وجدته ذات يوم عائدًا لي بمسدس من طراز .. لا أذكر حقيقة هذه الأخرى .. سرقه من جندي من الذين لاقوا حتفهم .

سألته فأجابني بأنه وجده في الطريق ..

ربما كان صادقًا وقتها .. لكنني لم أُعْطِه فرصة، لأي شيء ..

فقد كانت بالنسبة لي تلك الفعلة هي الطامة الكبرى ..

أيسرق ابني أنا؟ أيسرق! يرتكب خطيئة مثل تلك!.. لا بل ويكذب علي متعمدًا كذلك ..

وهكذا غلى الدم في أوردتي، مما اضطرني إلى أن أُعاقبه لكن ليس كأي عقاب ..

مايكل ابني الأصغر يبكي في حرارة كأنما كان يعي ما سوف أفعله بأخيه الأكبر ..

سحبت سكينا من على المائدة .. فعلمت زوجتي ما أنتوي فعله،

حاولت منعي، لكنني كنتُ الأقوى ..

جثوت فوق صدره .. على أنفاسه، ورغمًا عنه أخرجت لسانه بيدي، وبترته تمامًا .. لقد حللته من خطيئته بالقوة .. كما أخبرني الرب .

ركضت زوجتي ناحيتي مرة أخرى في محاولة أخرى يائسة لمنعي، لكنني أشحتُ بيدي في الهواء، فلطمت خدها وأدميتها .. سقطت

أرضًا، ثم نهضت مرة أخرى تعاود الكَرَّة، إلا أنني كنتُ قد فرغت من فعلتي ..

كانت الدموع تنهمر بلا رقيب من عينيها ..

جثت على ركبتيها، لتحتضن طفلها، الذي لم يعد يتحدث، وأخذت تلعن اليوم، الذي قبلتني فيه زوجًا لها، ظل ممسكًا بفيه، ثم تملص من يديها وفر هاربًا من البيت إلى الأبد ..

***

أيلول 1953

أما عن كيد صديق مايكل، فكان يمكث في غرفته وحده، وقد فر النوم من عينيه وهو وحده لشيئين الأول لأن صديقه مايكل في غرفة الطبيب، الشيء الثاني لأن صديقهم الثالث تومسون قد لقي حتفه مع المشرفين في الغارة، وهذا لأجل صديقه، وما حدث له، خاصة وأنه لم يكن قادرًا على الذبِّ عنه..

***

في منتصف الليل نهض مايكل شاعرًا بدُوارٍ بعض الشيء من جراء ما تم حقنه به، ومما حدث له..

نظر حوله ليجد الطبيب يغط في سبات عميق أمامه على أحد المقاعد الجلدية، وأمامه على المنضدة استقرت زجاجة مليئة بمادة الفينوباربيتون التي حقنه بها الطبيب.

نظر إلى الطبيب مرة أخرى فوجده لم يحرك ساكنًا، فنهض في تثاقُلٍ، وأمسك بالزجاجة في حذر ثم أعادها مرة أخرى لأن يديه لم تستطيعا حملها بعد أن ارتعدتا، حاول مرة أخرى ثم دسها بين طيات ملابسه، ثم خرج من غرفة الطبيب في تؤدة، متجها إلى غرفته حيث يجلس صديقه كيد.

***

ما إن دلف مايكل إلى غرفته، حتى قفز كيد من فراشه، وأخذ يلثم مايكل، فوضع مايكل يديه على فمه، ثم أضاف وهو يخرج الزجاجة من بين ملابسه:

– صه يا كيد، لا أريد أن يعرفِ أحد أنني نهضت، وخذ هذه خبئها.

قال ما قال، وهو يدس الزجاجة في يد كيد، ويضيف:

– أما عن هذه فسوف أخبرك عما سوف تفعله..

قالها ثم صمت برهة، ليردف هامسًا:

– هذا إن كنتَ تريد مساعدتي.

لم يتوانَ كيد في أن يضيف في لهفة:

– بكل تأكيد مايكل.. لا شَكّ في هذا، لكن.

هنا قاطعه مايكل:

- سوف تفهم كل شيء عندما يحين الوقت لذلك.

قالها ثم ذهب من أمامه ليتركه مبلبل الأفكار.

***

في صباح اليوم التالي نهض الطبيب ليجد أن مايكل ما زال في فراشه بالغرفة، فتوجه إليه، ليوقظه برفق، فاستجاب مايكل، ونهض جالسًا على طرف الفراش ليضيف متسائلًا:

- ماذا حدث؟

ربت الطبيب على كتفه ثم أضاف:

- لا شيء.. مجرد صدمة بسيطة من جراء ما حدث معك.

ارتجف وجه مايكل قليلًا، ثم أضاف بتؤدة:

- حسنًا.. لكنني ما زلت أشعر بدوار وأني لستُ على ما يرام.

قالها فكاد الطبيب أن يتحدث لولا أن دلف السيد فريدي إلى الغرفة وقاطعه قائلًا وموجهًا حديثه إلى مايكل:

- لقد صرت بخير حال اليوم..

قالها فأضاف الطبيب:

- لكنه سوف يمكث اليوم أيضًا كي يكون تحت ناظري.

نظر إليه السيد فريدي ثم إلى مايكل كأنه يفحصه، ثم أضاف:

- حسنًا، افعل ما ينبغي فعله.. وسوف آمر كيد بأن يحضر إليه الطعام معك إلى الغرفة، ما دام يحتاج ذلك.

قالها ثم أردف بشمم:

- لقد عاقبتهم عقابًا شديدًا رادعًا، وسجنت كل واحد منهم في غرفة بمفرده.

قالها السيد فريدي لمايكل، الذي ما إن سمعها حتى ابتسم ابتسامة صفراء، وأضاف محدثًا نفسه:

- لقد عاقبتهم بالفعل، وبقي عقابي أنا.

***

- كيف لك أن تفعلي هذا؟

قالتها ليزا صديقة مارجريت لهذه الأخيرة، التي للتو خرجت من المكتب الخاص برئيسها بقسم تحرير الحوادث بعد أن خَطَّت استقالتها، ووضعتها أمامه، فأضافت مارجريت برومانسية، وهي تتذكر دوجلاس:

- أنتِ حمقاء.. هل هناك شيء في ذلك العالم يوازي حبي لكاترين، ودوجلاس.

هاهاهاهاهاهه

قهقهت ليزا بشدة ثم أضافت بخبث واضح:

- تقصدين دوجلاس فقط أيتها اللعينة.

- مارجرييييييت!

هنا دَوَّى صوت وليام خطيب مارجريت ليجعلها تستفيق من خواطرها تلك، فتنهض تاركة ما كانت تكتبه، وتذهب إليه..

***

خبر في صحيفة الحوادث بجريدة (الولاية)

مصرع ويل هاريس عامل بمصلحة حفظ الجثث البالغ من العمر **56** عامًا على يد مقاتل مجهول..

وأكدت مصادر خاصة بالمجلة أن ويل هاريس كان يعمل في مشرحة الولاية، ونظرًا لكون المكان الذي أُقيمت فيه المشرحة يوجد في ضفاف نهر التايمز وبعيد بعض الشيء عن وسط المدينة ومحاط بسياج آمن، ولا يمكن أن يدخل من بابه أحد دون أن يفتح له هذا الحارس، فإنه استغل هذه الفرصة وشرع في ممارسة الجنس على جثث النساء والفتيات المتوفيات غرقًا في الوادي أو المقتولات والمُلقيات بالنهر، وهذا يؤدي بدوره إلى تخليط الشرطة عن سبب الوفاة.

وأفادت مصادرنا أيضًا أن اكتشاف هذه الجريمة جاء محض المصادفة..

فقد أتى إلى المصلحة رجال الوقاية المدنية بجثمان السيدة إليزابيث، كي تضعها في المصلحة حتى يتم استلامها من قبل عائلتها..

فتم تسليمها للحارس، الذي بدّل أن يضعها مباشرة في الثلاجة.. تركها على طاولة وأخرجها من الصندوق وشرع في إزالة ملابسها مما أثار دهشة أحد رجال الوقاية المدنية.

وبعد ساعة من وضع الجثة تقدم إلى المشرحة الطبيب مارك ستيوارت بصحبة مسؤول الأمن ووالدة إليزابيث، وشقيقتها..

حيث استقبلهم الحارس ليجدوا أن جثة إليزابيث ما زالت على الطاولة، وقد غُطيت بثوب أبيض بعد أن تم إخراجها من الصندوق، الذي وضعها فيه رجال الوقاية المدنية.

وبمجرد أن وضع الطبيب مارك يده على صدر الجثة وجد أن حرارته غير عادية كما لاحظ أن شعرها مصفف، وهي ملاحظات أدت إلى اكتشاف الجريمة، وبعد أن احتج على الحارس لعدم إدخال الجثة للثلاجة للحفاظ عليها من التلف، بدأ في عملية تشريح بسيطة، للتأكد من شيء ما بعد أن طلب من عائلة الضحية الخروج والانتظار في القاعة المخصصة لذلك.

ومن خلال عملية التشريح اكتشف مارك ستيوارت أن جثة إليزابيث قد تعرضت لهتك عرضها، وأن آثار الدماء ما زالت عالقة بها، وكذلك المني.

هذا الاكتشاف دفعه إلى الشك خاصة بعد كشف أن جسم الضحية كان لا يزال دافئًا!

هذا لكون الطبيعي أن الجثة يجب أن تكون حرارتها منخفضة لكونها كانت ملقاة لساعات وسط النهر.

كذلك كان شعرها مصففًا بما يعني أن هناك تدخلًا ما وقع على الجثة.

لم يخبر الطبيب شقيقتها أو والدتها مباشرة بما يشك فيه، بل طمأنهما موضحًا أن عليه إجراء بعض التحليلات، وأنه سيوافيهما بنسخة من تقرير التشريح، وأن عليهما العودة إلى المنزل حتى ينهي تلك الأمور.

وهكذا انتقل الطبيب إلى مكتب رجال الأمن، وأخبرهم بما اكتشفه – الفتاة الضحية تم الاعتداء عليها بعد وفاتها، وهتك عرضها – وأن شكوكه تحوم حول رجلي الوقاية المدنية وحارس المشرحة.

انطلق المحقق دوجلاس ومساعداه مباشرة إلى المركز المحلي للوقاية المدنية ليجدوا أن العضوين اللذين نقلا جثة الطفلة جالسان بالمقصف يشربان القهوة ويلعبان القمار في انتظار المناداة عليهما من طرف رئيسهما وتكليفهما بمهمة أخرى.

وبعد استئذان رئيسهما تم الاستماع إلى كل واحد منهما على حدة حول مسار عملها ذلك الصباح، وكذلك عن تفاصيل نقلهما لجثة إليزابيث إلى مصلحة حفظ الجثث.

وبعد الانتهاء من جمع المعطيات التي جاءت متطابقة بين المصرحين، وعند مطالبة كل واحد منهما بحمضه النووي أفضى أحدهما لمفتش الأمن الجنائي بملاحظته بخصوص التصرف الغريب لحارس المشرحة، وهي الملاحظة التي سجلها المحقق دوجلاس ليتوجه على التوِّ لمقر حفظ جثة الأموات.

حتى يعمل على التحقيق مع المتهم ومحاكمته لولا أن تدخل السفاح، وخَلّصَ المجتمع من ويل هاريس إلى الأبد بعد أن ذبحهُ من الخلف.

وقد تبين بعد فحص جثة هاريس أنه قد تم استئصال عضوه الذكري تمامًا، مثله مثل جثة الفلاح تشارلز، التي عثر عليها في الكوخ، وهذا يقودنا إلى نظرية أننا بصدد قاتل متسلسل يعلم ما يجب فعله تمامًا..

لكن السؤال المهم هو: هل رجال سكوتلانديارد يعلمون ما يجب فعله.. أم لا؟

كتبته مارجريت بيير

15

صفحة من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

26 من نيسان 1939

نهضت لأجد زوجتي قد أخذت ابنها الرضيع، وفرت بعدها من المدينة، ومني إلى الأبد ...

أعلم أنني قد دمرت أسرتي بالكامل، لكنني كنت أفعل الصواب.. كان لا بد أن أُطهِّرَه من الخطيئة ..

***

أيلول 1953

في الثامنة صباحًا أتى كيد وهو يحمل صحفتين لكل من مايكل والطبيب..

وضع صَحْفَة الطبيب أمامه، وشرع في التهامها، وبدا في وضع الأخرى لمايكل، وهو يضيف:

- سمعت أن السيد فريدي قد عاقبهم بأن وضع كلًّا منهم في غرفة بمفرده، وقد منعهم من الفطور والغداء أيضًا..

قالها همسًا، وقد فرغ من وضع الصحفة على المنضدة أمام مايكل تمامًا، فأضاف ذلك الأخير هامسًا بدوره:

- هذا ما كنت أريده.. خذ.

قالها وهو يدس ورقة صغيرة الحجم في يد كيد، الذي نظر له غير فاهمٍ، لكنه دسها في ملابسه، حتى خرج من الغرفة، ووقف في الطريق ليفضها، فغر فاهُ في بلاهة مما قرأ، ثم أعادها في جيبه، وغادر إلى ساحة المطعم ليكمل بقية عمل اليوم.

***

حتى لا أطيل عليك سوف أذهب بك سريعا إلى الليل وبالتحديد ساعة العشاء، وما كان يفعله كيد..

فها نحن نرى كيد، وهو يعد أربعًا من الصِّحَاف عليها بعض الجبن والعسل، وذات العدد أرغفة من الخبز.. لقد أعدها للثلاثة نيكولاس ورفيقيه.. وقبلهم للسيد فريدي.

حمل الصِّحَاف واتجه بها إلى الغرفة الأولى وهي غرفة نيكولاس، لكنه لم يفعل بل انحرف ناحية غرفته أولًا، وهذا أمر غريب بعض الشيء.. دلف إليها.. وضع الصِّحَاف على أقرب مقعد.. أخرج القنينة التي تحوي عقار الفينوباربيتون، وبدأ يفرغ من محتواها على الصحاف بالترتيب..

ما إن فرغ حتى أعاد القنينة إلى مخبئها، ثم حمل الصِّحَاف وبدأ في توزيعها على الصبية الثلاثة، ومديرهم!

***

فرغ من توزيعها، وعاد إلى المطعم، أعد صحفتين، وذهب بهما إلى غرفة الطبيب..

دق الباب مرتين، ثم دلف ليجد أن الطبيب قد غَطَّ في سُباتٍ عميق، ومايكل ما زال راقدًا في فراشه ينتظره..

وضع كيد الصِّحَاف أمام مايكل، الذي بادله سيل من النظرات ذات المعنى، فهمها كيد، الذي أضاف هامسًا:

- **44** و **45** و **46**.. لقد فعلتها. -

قالها فابتسم مايكل ابتسامة الظفر، ثم غادر الغرفة دون كلمة أخرى.

منتصف الليل إلا قليلًا ينهض مايكل مغادرًا الفراش، يتأكد من أن الطبيب غائب عن عالمه تمامًا، ثم يخرج من الغرفة متسللًا..

يخرج متجهًا إلى غرفة السيد فريدي، الذي غاب عن الوعي تمامًا وغاب في سبات طويل..

دلف إلى غرفته عبث في ثنايا بذلته السوداء، ليخرج عدة مفاتيح، دسها في جيوبه، ثم اتجه إلى الحمام الخاص به بحث عن شيء ما على الأرفف أمام المرآة، حتى وجده، ابتسم ابتسامة شيطانية، ثم دسه في جيبه وغادر!

***

بعد ثوانٍ معدودة كان مايكل قد وصل إلى غرفة رقم 44 وهي غرفة نيكولاس.. أخْرَجَ سلسلة المفاتيح، وبدأ في فحص أيها يصلح، وهي مهمة ثقيلة بعض الشيء خاصة إن كنت لا تريد أن يراك أحدٌ أبدًا..

ترك تك ترك!

يا له من صوتٍ مُحبَّبٍ للنفس حين ينفتح الباب، الذي تبحث عن من خلفه!

دلف إلى الغرفة، وأغلق الباب خلفه..

وقف لبرهة أخرج فيها موسى الحلاقة الخاص بالسيد فريدي، ثم اتجه إلى نيكولاس، الملقى على فراشه بلا حراك، إلا من صعود صدره وهبوطه، شق بالموسى سرواله، ثم بدأ في مهمة شاقة، ومقززة كذلك، فبتر عضوه التناسلي لأول مرة مهمة ليست شيقة إن كنت خمنت ذلك..

الكثير من الدماء، الكثير من الأوردة، الكثير من كل شيء.

فعل مايكل ما فعل، ثم خرج من الغرفة، وقد بدأت النار، التي بداخله تهدأ قليلًا، فهناك آخرون..

بضع خطوات ثم توقف أمام الغرفة **45** وهي لتوماك هيموجان.. فتح بابها بعد ذات العملية، ثم دلف إلى حيث هو..

دقائق فرغ فيها مايكل من مهمته، ثم غادرها، متجها إلى الأخير..

الغرفة **46**، إنه ليودور، لم يبقَ سواه، دلف إليه، أخرج الموسى قطع عضوه الذكري.. ووقف يتأمله مضيفًا:

– الآن صرنا متعادلين.. وأنتم من حَكَمَ بهذا.

***

وقف مايكل عند باب الملجأ بعد أن فتحه على مصراعيه، ينتظر صديقه كيد، الذي تأخَّرَ عليه..

- أخذ يأكل أظفاره توترًا، لتأخره، ثم ظهر كيد خارجًا من المبنى، راكضًا، لكنه ليس وحده بل كانت ماريا معه!

هدأ كيد وماريا من ركضهما، عندما استقرا أمام مايكل، الذي وقف يحملق في ماريا دون يتحدث أحدهما، فقاطع كيد ذلك الصمت مضيف:

- لو انتظرنا أكثر، فأعتقد أنني.

هذه المرة قاطعه مايكل:

- هيا بنا.

قالها وأطلق ساقيه للريح، بعد أن امسك بيد ماريا بقوة كي لا تنفلت منه.

***

- دوجلاس إن عملك سوف يجعلك تخسر كلينا.. أنا وكاترين.

تقولها مارجريت لدوجلاس ثم تضيف:

- لقد تحملت الكثير.. تحملت الحرب وهجرك لي ولكاترين.. ليست مرة واحدة بل اثنتين، وبعد أن عدت، وحدثت نفسي أنك سوف تكون معي ومع ابنتك التحقت باسكوتلانديارد..

قالتها ثم أضافت بيأس:

- دوجلاس أنت معنا ولست معنا تقريبًا.

كاد هو أن يتحدث لولا أن قاطعته مضيفة:

- لقد استقلتُ لأجلك، لأنك وعدتني انك سوف تتفرغ لنا و...

- أنا أحبُّ عملي مارجريت.

قالها محطمًا كل شيء داخلها، فأضافت بدموع أوشكت على الانفجار:

- إذًا أنت اخترت..

تن تن !!

يفيق دوجلاس من خواطره ويدق جرس الباب الخاص بمنزل مارجريت ويدق الجرس مرة.. مرتين، فتفتح له مارجريت، وهي ترتدي الروب، وتعقص شعرها الأشقر، كم هي رائعة! كيف تركها هي وابنته بتلك البساطة.. صحيح أن ابنته كبيرة بما يكفي لتُعنى بنفسها، ويراها كذلك بين الحين والآخر، لكن؟ هكذا يقولها محدثًا بها نفسه؛ قبل أن تضيف هي للمرة الثالثة:

- دوجلاس.. هاي.. أين أنت؟

يفيق من خواطره مرة أخرى وينتبه لما تقوله مارجريت، فيضيف بلادة:

- لقد جئتُ كي..

هو لا يعلم لِمَ جاء، لكنه أراد أن يراها، يتنبه مرة أخرى لحديثه معها، ثم يفكر برهة في عذر ربما يكون مقبولًا، ثم يضيف:

– هل من الممكن أن.. نتناول.. العشاء معًا؟

قالها، ثم أضاف:

– أودُّ أن أرى كاترين، و... أود أن أعرض عليكِ أمرًا.. إن لم يكن لديك ما يمنع.

قالها ثم أخذ يرمقها، ويرمق إجابتها، التي أتت بتؤدة ورقة لا وصف لها:

– دوجلاس.. أنا.. مم.. لقد ارتبط.. هناك ويليام.

– ماذا؟

قالها بحدة، فأضافت هي مبررة:

– هل من الغريب أن أرتبط.. لما زلت شابة بما يكفي، ثم إنك تركتنا، وفضلت عملك، ما الذي كنت تود أن نفعله.. ننتظر طلب استغنائهم عنك بعد هرمك كي نعيش معك أم ماذا؟

قالتها، ثم تنهدت، فأضاف هو مهدئًا:

– حسنًا.. حسنًا، لا بأس، لن تتأخري.. أعدك.

أزاحت خصلات شعرها من أمامها، وأضافت:

– الثامنة.. يناسبك؟

قالتها، فلم يتوانَ هو في أن يومئ برأسه موافقًا، ومبديًا إعجابًا لا بأس به بالميعاد، وهو يضيف:

– حسنًا.. اتفقنا .

***

في السابعة والنصف تمامًا كان دوجلاس يقف بسيارته أمام منزل مارجريت، ينتظرها هي وابنته، وهو يدق بأطراف أنامله على حافة باب السيارة مدندنًا أغنية ما..

دقائق عدة قد مرت وهو على تلك الحالة، حتى ظهرتا..

ما إن رآهما، حتى قفز من سيارته كالملسوع، وفتح الباب لهما، كي يتفضلا، بعد أن لثم ابنته كاترين واحتضنها بشدة قابلتها هي بفتورٍ واضحٍ.

***

في ذلك الكافيه، الذي يقترب من النهر جلسوا جميعًا..

تنظر مارجريت إليه، ثم تضيف:

– ها قد قبلتُ دعوتَك.. هل لكَ أن تخبرني بالأمر الذي أتيت بي إلى هنا من أجله؟

نظر إليها دوجلاس، ثم أضاف:

- لا أعلم.. حقيقة لا أعلم.. لقد اختلقتُ ذلك العذر كي تسمحي لي بمقابلتك.

قالها، فأضافت هي ابتسامة صغيرة بجانب فيها، بعد أن نظرت إلى ابنتها كاترين، التي تلعثمت، ثم أضافت:

- سوف.. أذهب هناك.. سوف أجلس..

قالتها، ورحلت لتجلس على منضدة قريبة منهما مطلة على النهر، وأخذت ترمُقُ مياهه الرقراقة، وتتذكر وليام.. صديق والدها الأسمر الوسيم ويليام وارس.

- لن تتغير دوجلاس.. لن تتغير.

قالتها، ثم أضافت هي كي تبدأ موضوعًا:

- لقد ارتبطتُ وأنتَ؟

- لا.. لم أفعل بعد.. هل تعلمين لِمَ؟

قالها، وأخذ يرمقها، فأضافت:

- لنرجئ الحديث في ذلك الآن.. أرجوك.

قالتها ثم أضافت كي تغير الدفة تمامًا:

- ما الذي توصلت إليه في تلك القضية؟

قالتها فأضاف هو بعد أن طلب النادل ليطلب منه كوبين من العصير المثلج وقدحًا من القهوة:

– لا شيء.. لقد اتصل بي مرة واحدة كي يخبرني بتلك الجريمة الخاصة بالرجل الذي يخون زوجته مع شقيقتها!

قالها فأضافت:

– وبدورها أفصحت عن جريمة العامل إياه.. الذي يضاجع الجثث داخل المصلحة.

– هذا ما حدث.

– وكيف لم تتوصل له حتى الآن؟

– لأنه لا يترك أية آثارٍ.

جاء النادل، وبدأ في إنزال ما طلبوه، لولا أن أشار دوجلاس إلى مكان ابنته، وهو يضيف:

– ضع واحدًا من هذا هناك.

قالها فأفرغ الصينية إلا من الكوب، ثم انصرف إلى حيث تجلس الفتاة كي يضع آخر كوب.

امسكت هي بكوبها، ورشفت من خلال الماصة، ثم أضافت:

– هل هناك رابط بين الجرائم حتى الآن؟

عبث هو بقدحه بين يديه، ثم أضاف:

– أعتقد أنه ربما لن يفيد.

فأضافت هي في حماسة:

– وما هو؟

نظر إليها، ثم أضاف هو هذه المرة:

– أنتِ التي لن تتغيري..

ابتسمت هي في رشاقة، فأضاف هو بتؤدة:

– جميعهم قد ارتكبوا خطيئة الزنا.

صمت قليلًا، ثم أضاف:

– أو لنقل إن ذلك هو الرابط الظاهر حتى الآن.

– هل هناك شيء آخر من الممكن أن تخبرني به؟

قالتها ثم أخذت رشفة أخرى، فأضاف:

– لقد تم استئصال العضو الذكري من جسد القتيلين بعد أن تم قتلهما.

قالها ثم أضاف:

– اقشعر جسد مارجريت، وامتعضت، وأضافت باشمئزاز:

– يا الله.. ما هذا الجنون؟ لا بد أن يكون دافع القتل لديه نفسي حتمًا.

قالتها فمطَّ هو شفتيه لأسفل دليلًا على عدم علمه بهذا إلى الآن، فأضافت هي:

– هل هناك شيء آخر؟

قالتها، فرشف هو من كوبه، وأضاف:

– ليس بعد .

قالها ثم أضاف مبتسما:

– هل تمارسين عملك معي الآن يا مارجريت؟

فأضافت هي:

– بالتأكيد.. فلن أنتظر حتى تسبقني جريدة أو مجلة أخرى، بأخبار طازجة عن تلك القضية، و.. وأنت.. معـــ

قطعت عبارتها، بأن دست شفتيها في الماصة ورشفت باقي العصير.

***

16

صفحة من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

أيار 1939

اليوم أصبح تحت إمرتي الكثير من الأتباع الذين يثقون بي ويأتمرون بأمري ..

أنا منتظر أن يعود الصوت كي يأمرني بالخطوة القادمة ..

أنتظر بفارغ الصبر صوت الرب .

***

أيلول 1953

بعد ساعة أو ساعتين من الركض والسير على الأقدام في الظلام الدامس، ووسط الخرائب والعمار، ووسط ضوء كشاف دبابة أو عامود إنارة واهن، تعبوا وجلسوا على كومة من الهدم ليلتقطوا أنفاسهم، لكن النعاس قد غلبهم جميعًا، وغابوا في سبات عميق.

***

في هذه اللحظات كان الملجأ في حالة يرثى لها.. فنيكولاس وصديقاه قد استيقظا على تلك الطامة الكبرى التي ألمت بأجسادهم، فبدأ الصراخ الهستيري، تبعه إغماء للبعض منهم..

بالطبع كان ذلك الصراخ كفيلًا بإيقاظ الموتى، وإيقاظ كل من هو بالملجأ، وبدأ الجل في محاولة لاكتشاف ما الذي حدث..

بحث السيد فريدي على سلسلة مفاتيحه فلم يجدها، فطلب من المشرف النحيل، ومعه الطبيب تحطيم الأبواب، في حين خرج الكثير من الصبية، الذين يريدون التقصي، وكذلك المساعدة بعد باءت محاولات المشرف والطبيب في فتح الأبواب بالفشل الذريع..

بالفعل التحم الجميع وبدؤوا في تحطيم الأبواب، وهذه المرة لم تصمد هذه الأخيرة طويلًا..

وتدفقت الحشود إلى الداخل، ليبدأ الصراخ المتبادل، ومن ثم سيل الإغماءات مرة أخرى، بعد أن رأوا المشهد المروع لنيكولاس ورفيقيه، والدماء التي لطخت الفراش!

***

- شخص كهذا لا بد أن يكون له قضية..

قالها دوجلاس لمساعده نيولاند في المقهى الذي اعتادا الجلوس فيه، المطل على النهر، وأضاف:

- لا أقصد قضية بالمعنى الحرفي.. أقصد أنه لا بد أنه يقتل دفاعًا عن شيء ما.. لابد أن يكون لديه عقيدته الخاصة.

قالها ورشف من قدح القهوة، فأضاف نيولاند:

- ربما كان الدافع تحقيق العدالة بيده هو دون النظر إلى القانون.

قالها ثم أضاف:

- إن من قتلهم هم أنفسهم قد ارتكبوا أخطاء، ومن قتلهم قد استأصل أعضاءهم التناسلية كذلك، إلا السيدة التي تُدعى...

- إليزابيث.

- نعم هي.

رمق دوجلاس الماء الرقراق، ثم أضاف، بعد أن رشف ثمالة القهوة:

– أو ربما دافع شخصي أو لنقل نفسي.

***

تقف كاترين أمام الثلاجة وهي فتاة جريئة المظهر في نحو الخامسة والعشرين من العمر.. شعرها ثقيل، في وجهها نمش، حركتها خفيفة، سريعة، تقف وهي ترتدي قميصًا للنوم، وتتناول قطعة من الشيكولاتة، ثم تغلق الثلاجة، وتدلف إلى غرفتها مرة أخرى، بعد أن رمقت بطرف عينها ويليام، الذي لم يلتفت إليها قط، وأخذ يتابع التلفاز بشغف.

جلست على مقدمة الفراش بعد أن وقفت أمام المرآة لثوانٍ تتأمل خلالها علامات دخولها في عالم الأنوثة حديثًا، ثم ابتسمت وأخذت ترقص على ركبتيها، وهي تدندن أغنية تعشقها من موسيقى الراب.

في هذه اللحظة دلفت مارجريت، وأغلقت الباب بقوة، وهي تضيف:

– كم من المرات أخبرتك ألا تخرجي من غرفتك هكذا؟

نظرت إليها كاترين، ثم تدثرت بالغطاء، تظاهرت بالنوم متجاهلة حديث والدتها، التي أمسكت بطرف الملاءة، ورفعتها، لتكمل حديثها، قائلة:

- أنا أحذرك ياكاترين.. وإلا.

قالتها، ولم تعلم بما ستهددها، فانصرفت، بعد أن صفعت الباب، وأخذت تتمتم بكلمات لم تتبينها كاترين، التي ضربت الغطاء بقدمها، وأخذت تكمل رقصها وأغنيتها.

***

17

صفحة من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

تموز 1939

بعد تأخر دام شهرين كاملين أو يزيد .. عاد الصوت ليأمرني بأن أحللهم جميعًا من خطاياهم بأن آمرهم بغمس أنفسهم بمياه النهر جميعهم.

فعلت وفعلوا ..

ومات الكثير منهم!

وغادر الصوت إلى الأبد!

لا أعلم لِمَ .. فلم أرتكب أية خطيئة.

***

أيلول 1953

استيقظ الثلاثة وما زال الليل يغلف المكان على صوت انفجار، وكل عظمة في جسدهم تؤلمهم وتلومهم على بذلهم لذلك الجهد الشاق، لكنهم تحاملوا على أنفسهم، ونهضوا ليكملوا مسيرهم..

أما عن الطريق أمامهم.. أقصد ما تبقى منه فلم يعد يصلح إلا للسير على الأقدام.. أما غير ذلك فكان يعد من الاستحالة..

فقط تخيل أن "غودزيلا" خرجت من باطن الأرض منذ قليل!

لكنهم تحاملوا على أنفسهم وساروا في تؤدة باحثين عن ضالتهم.. يتعثرون ثم يسقطون...ثم يتعثروان ثم يسقطون أرضًا.. ثم.. وجدوا ذلك المترل!

لم يكن على حالته بكل تأكيد.. فالخراب كان قد طال نصفه العلوي فحسب، مما جعل نصفه السفلى يصلح كملجأ لهم على الأقل.. اتجهوا ناحيته في تؤدة ثم تقدمهم مايكل، الذي قرع الباب في حذر غير منتظر الرد، فلم يجبه أحد، لذا دلف الثلاثة إلى المترل في حذر بالغ.

رائحة الحريق كانت تغلف المكان بأكمله، لكن بالنسبة لهم كان هو المكان الوحيد المناسب في ذلك الوقت، لذا أغلقوا الباب عليهم، وأكملوا النوم فيه حتى الصباح

***

أشرقت الشمس، ودلف شعاعها إليهم ليوقظهم، فاستيقظ مايكل مضيفًا:

- يجب أن نغادر الآن.

قالها ثم أضاف:

- حقًّا أنا لا أعلم إلى أين، لكن لا بد أن نغادر البلدة بأكملها، لأنهم لا بد أنهم يبحثون عنّا.

قالها لكيد، وماريا، فأضاف كيد:

- لقد سمعت أن هناك محطة للسكة الحديد على بعد خمسة عشر ميلا من الملجأ شرقًا.. هذا ما سمعته من السيد فريدي منذ أيام.

رمقته ماريا، لتضيف:

- حسنًا، فلنذهب الآن، حتى لا يلحقوا بنا.

قالتها، فهَمَّ الثلاثة بالنهوض، ومغادرة المبنى تمامًا، وبدؤوا مرة أخرى في رحلة للبحث عن محطة القطار.

وبالفعل لم يمر الكثير حتى وصلوا بالفعل إلى المحطة، وهناك استقلوا القطار إلى سلاو* ليبدؤوا مرحلة جديدة في حياتهم تمامًا.

سلاو بلدة في مقاطعة باركشير الإنجليزية والتي تقع غرب لندن الكبرى مباشرة.

18

على ضافة النهر تقفان، ترتدي إحداهما قلنسوة، ومعطفًا جلديًّا، وقُفازًا من القماش، والأخرى ترتدي كوفية فوق كم من الملابس لا بأس به يصلح لمثل ذلك الوقت المتأخر من الليل، ولمثل ذلك الطقس في الليل..

الأولى كاترين، والثانية مولي صديقتها المُفضّلة، التي أخذت همس ببضع كلمات لصديقتها، قبل أن تتحركا إلى ذلك الكوخ، الذي يستقر على حافة النهر..

كوخ يبدو حديثًا نوعًا، لكنه مُقْبِضٌ كذلك.. فالليل قد أسدل أستاره منذ ساعات مضت، والظلام دامس إلا من عامود واهن وقف على الطريق الرئيسي يلقي بضوئه للسيارات القادمة والراحلة من وإلى المدينة..

وهذا الكهف يطوله بعض من تلك الإنارة، لكنها تكفي لجعله أشبه بتلك الأكواخ التي نراها في أفلام الرعب..

ترتجف مولي، ثم تضيف من بين أسنان تصطك بعضها ببعض:

– هل أنتِ واثقة؟

تقولها، وهي تنظر إلى كاترين، التي ارتسمت على وجهها علامات الثقة، أو لنقل إنها تريد أن تفعل ذلك..

تنظر كاترين إلى مولي، وهي تضيف دون أن تتوقف:

– ليس لدي حل آخر، إنه يحب غيري، وأنا أحبه، وسوف أجعله يحبني هو الآخر.. هكذا ببساطة.

قالتها ثم أضافت:

– إنه أسمر وسيم.. *

تقف مولي دون إن تعيرها كاترين اهتمامًا، وتظل تتقدم ناحية الكوخ، فتضيف مولي بصوت عالٍ بعض الشيء:

– لكنها والدتك.. وهو سوف يصبح زوجها!

– ليكن.

تقولها كاترين ثم تقف أمام باب الكوخ، لتنتظر مولي، التي ركضت

ركضت ناحيتها كي تلحق بها، ثم تضيف بعد أن وصلت:

– لا أدري...

تقولها ثم تمطُّ شفتيها إلى أسفل.. ترفع كاترين يدها، وتدق الباب في حذر.

ينفتح الباب ليطل خلفه امرأة عجوز، تقف ترمقهما بنظرات واهنة، ثم تضيف بصوت مبحوح:

– من أنتما؟ وماذا تريدان؟

تتقدم كاترين إلى الداخل بحذر، وهي تضيف:

– أنا كاترين، وهذه صديقتي مولي، وجئنا نريده.. نريده في شيء.

قالتها، وهي تشير إلى رجل إفريقي امتلأ وجهه بالجدري والتجاعيد، اقشعر جسد الفتاتين، وشعرتا بالضيق والاحتكار .. استقر أمامه بعض البخور، والكثير من الجلود والعظام، وكذلك الكثير من الكتب والأوراق الصفراء المهترئة بعض الشيء.

فنظرت السيدة العجوز إلى الرجل، فأومأ لها فيما معناه أنه لا يُمانِع من مقابلتهما، فنَحَّت نفسها جانبًا، كي تفسح لهما كي يتقدما إل الداخل.

***

بالنسبة لكاترين فهي محقة، لأن السُمر في بريطانيا كانوا قلائل جدًا يقتربون من الندرة؛ لأن المملكة كان معظم من بها من الأيرلنديين أو المحاربين البولنديين .. وهي كذلك أحبته مهما كان الثمن.

جلست كاترين، والى جوارها مولي، التي أخذت ترمق المكان كله بعين تكاد تدمع من فرط الإثارة، والحذر، والخوف كذلك..

– ماذا تريدان؟

قالها الرجل، الذي أشاح بيده في الهواء محدثًا بعض الدخان في الموقد الذي استقر أمامه، ثم أضاف:

– من صاحبة الطلب؟

– أنا..

قالتها كاترين، ثم أضافت:

– أود أن أجعل خطيب والدتي يكرهها ويحبني أنا.

نظر الرجل إليها، وود أن يخبرها أنها حمقاء، لكنه عمله، ولولا هؤلاء الحمقى لما رُزِقَ بعليم واحد، فأضاف:

– حسنًا.. أود أن أعرف اسمه كاملًا..، واسمكِ كاملًا، واسم والدتك.. وقبل كل ذلك أريد أن احصل منك على شيء يخصُّه!

قالها فأضافت كاترين بصوت انحشر بعضه في حلقومها:

– أعرف ماذا تريد بالضبط، لكن متى تريده؟

– بعد غدٍ.. في ذات الموعد..

قالها ثم أردف:

- ومعك الكثير من الذهب.. فأنا لا أقبض إلا به.

قالها وابتسم، فأضافت هي بعد أن نهضت من مجلسها، ونهضت مولي بدورها لتسبقها إلى الباب:

- حسنًا، موعدنا بعد الغد.

قالتها، وتوارت بالخارج هي وصديقتها.. وظل هو يرمقهما إلى أن ذابتا في الظلام الدامس بالخارج.

***

19

جلس أندراوس على مكتبه بعد أن قدم خطبته الرائعة على المنبر.. راضيًا عن نفسه هو حقيقة.. حين دلف إليه باراسونز الشماس ليعلن له أن هناك من يريد الاعتراف..

- مَنْ؟

- سيسيسيسدة ماااااا..

هكذا قالها ورحل.

ليهم أندراوس بالنهوض ممسكًا بالصليب، ويخرج إلى ساحة الاعتراف، ليرى سيدة سمراء على ما يبدو في العقد الرابع من عمرها..

انفها المنفوش وشفتاها المكتظتان تصرخان معلنة عن أصولها الإفريقية..

ما إن رأته بهيئته الوقور، يتقدم ناحيتها في تؤدة، حتى جثت على ركبتيها، وأخذت تبكي في حرارة دون أن يفهم ما الذي حدث أو ما الذي أصابها، دنا منها، وأشار بصليبه ناحيتها، وهو يضيف:

– لا تبكي.

قالها فأضافت هي وسط البكاء:

– لقد أتيت إليك أيها الأب كي تسمعني.. لأني.. أريد أن أتوب.

نظر إليها، وأضاف:

– حسنًا.. من ماذا؟

وكأنها لم تسمع هذه الأخيرة، أضافت:

– أرجوك أنصت إليّ جيدًا، كي تحللني.. أرجوك.

ابتسم هو في وقار، وأضاف:

– حمدًا للرب على هذه النعمة..

قالها وأضاف:

– امضي وقصي علي ما تريدين.. هأنا أسمعك..

في عام **1949** أُبرمت اتفاقية القضاء على التجارة في الأشخاص واستغلال دُعارة الآخرين.. وقد وقعت **74** دولة و**14** هيئة على تلك الاتفاقية..

كانت هذه أول معاهدات الأمم المتحدة المناهضة للاتجار بالبشر، وهي تختصُّ فقط بالاتجار بالبشر بغرض الدعارة، وقد استندت إلى أدوات قانونية دولية تم تطويرها لمواجهة تلك المشكلة في القرن العشرين بموجب هذه المعاهدة، وقد وافقت الدول على معاقبة مروجي الاتجار بالبشر.

لكن للأسف! كان يتم تهريب آلاف النيجيريات، و(الإفريقيات) بوجه عام إلى أوروبا سنويًا حيث يجبرن على العمل في صناعة الجنس، وذلك لسداد ديون تصل إلى **50000** دولار.

– وكيف يتم هذا.. هل بإرادتهن أم ماذا؟

قالها الأب أندراوس بعد أن جلسا إلى أقرب مقعدين، فأضافت السيدة دون أن تنظر إليه أو متحاشية التقاء عيونهما:

– هنالك من ترضى بذلك لأجل لقمة العيش.. وهنالك من يأبين، لكن..

– لكن ماذا؟

قالها الأب فأضافت هي:

– إن الاتجار الخاص بالسيدات الإفريقيات يكون عن طريق السحر الأسود.

– ماذا؟

قالها الأب مذهولًا، فأضافت هي:

– نعم الفودو.. يمارس على الفتيات، فيعد الساحر أو يصنع لكل واحدة من هؤلاء السيدات دمية (فتيش) ..

– بعد أن يلقي السحر عليهن، ويبقين تحت حكمه جميعًا إلى الأبد.. يتصرف فيهن حيث يشاء وكيف يشاء، يتاجر بهن كما يريد دون أن يعوقه أي احد . *

– إذًا لماذا أتيتِ إليَّ.. كان يجب أن تذهبي إلى المخفر كي تقدمي بلاغك.

قالها الأب فأضافت هي مصححة:

– سوف يعرف.. إن جومجانا يعرف كل شيء.. ووقتها كل ما عليه فعله هو تمزيق الدمية الخاصة بي، لأصبح بعدها جثة هامدة.

صمتت لبرهة كي تلتقط فيها أنفاسها، ولتنهمر الدموع منها مرة أخرى، ثم تضيف:

– لقد جئتك كي تحررني مما أنا فيه، أرجوك.

قالتها وجثت مرة أخرى على ركبتيها في الأرض، فرفع الأب الصليب في الهواء وهو يضيف:

– حسنًا.. سوف أفعل.

***

كل ما ذكر بصدد موضوع الاتجار والفودو حقيقة أما موضوع دمى الفتيش فهو خيال.

20

صفحة من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

كانون الثاني 1940

هل كنت مخطئًا؟!

لقد تسببت في مقتل الكثيرين ..

لقد تفرقت أسرتي، وهدم بيتي، وخسرت كل شيء ..

لقد ذهب الصوت عني إلى الأبد ..

هل كان ما أنا فيه ليس إلا هلاوس؟!

هل كنت أخرف؟!

الم أكن المختار؟!

***

آذار 1965

نرى مايكل يقف أمام باب أحد المنازل ليقرع بابه وقد صار رجلًا، يقف أمام الباب ليدقه منكسًا الرأس!

همّ ماريا، وقد ازدادت جمالًا وشبابًا بأن تفتح الباب، ليدلف مايكل، ويلقي بنفسه على أقرب مقعد أمامه..

تجلس ماريا أمامه على المقعد المقابل، وتضيف بعد أن ترمقه بنظرات تشكك:

– لا جدوى.. صحيح؟!

نظر لها، دون أن يتفوّه ببنت شفة، ثم تناول من على المائدة دورق مليء بالماء المثلج، ورفعه ليجرع منه في مرارة، ثم يضيف بعد أن أعاده إلى مكانه مرة أخرى:

– لقد قال إنه يريد الكثير! الكثير جدًا من المال!

همت بالنهوض، لولا أن أمسك بمعصمها، وهو يضيف بأسًى واضحٍ:

– صدقيني لقد فعلت ما بوسعي، لكن..

قالها ثم أردف متسائلًا:

– أنت تحبينني، صحيح؟

رمقته، ولم تدرِ بما ستجيبه.. فهي بالفعل تحبه، أو ربما كانت تحبه، حتى علمت بأنه.. ليس رجلًا!

هي تريده، لكن في ذات الوقت تريد رجلًا، لأنها أنثى.

– هاه.. تحبينني، صحيح؟!

دوّى صوته في أذنيها مرة أخرى، فأفاقت من خواطرها، ثم تركت له المكان برمته، وغادرت إلى غرفة أخرى..

يرفع صوته كي تسمعه:

– إن كيد سوف يأتي إلى العشاء.

***

في الليل جلس الثلاثة على المائدة في منزل مايكل ليتناولوا العشاء..

نظر كيد إلى مايكل وماريا، وأضاف:

– ما بكما؟!

رمقت ماريا مايكل، ثم تركت المائدة وذهبت إلى إحدى الغرف..

أردف كيد بعد توقف عن الأكل:

– لقد كثر شجاركما يا مايكل.. ثم إنها أنثى.. وتريد ما تريده كل أنثى، واعذرني، فأنت.

قالها، وصمت ليبحث عن أية كلمة تصلح لهذا المقام، وفي ذات الوقت لا تجرح مشاعره، فلم يجد لذا صمت تمامًا.

نهض مايكل مضيفًا:

– أنا أحبها، لقد حسبت أنها سوف تحتمل..

– تحتمل ماذا؟! أنتَ تقول كلامًا ليس للعقل فيه أي أثر يا مايكل.

قالها ثم أضاف:

– لا تكن ظالمًا مايكل.. بل لا تكن أنانيًّا.

قالها ثم غادر المنزل، وتركه مبلبل الأفكار..

***

الآن نقف في أحد الملاهي الليلية لنرى مايكل يجلس مع إحدى الفتيات يجرعان الفودكا أو ما شابه.. التوتر والقلق واضحان على وجه مايكل، أما الفتاة فتقهقه لأتفه الأسباب، تنظر إليه فتراه صامتًا، لم يحرك ساكنًا، فتصمت بدورها.

بعد قليل ينهض تاركًا بعض الأموال للنادل، ثم يمسك معصم الفتاة، ويجرها إلى خارج الملهى..

تضيف هي، وهي أقرب إلى فَقْدِ الوعي من فرط الشراب:

– إلى أين يا هذا؟

ينظر إليها، ولا يضيف إلا صمتًا..

يجرها جرًّا حتى يتوقف أمام منزل كيد صديقه، ويهم بدَقّه، لولا أن تناهى إلى مسامعه صوت ماريا!

***

21

في شقة مارجريت، بالتحديد في غرفة ابنتها كاترين..

نرى كاترين جالسة على الفراش، وأمامها صديقتها المفضلة مولي تجرعان الفودكا، وتدخنان لفائف التبغ، وتقهقهان من أي شيء..

تصمت مولي قليلًا، ثم تضيف:

– أيتها المجنونة الحمقاء لو علمت أمك أنك سوف تأخذين منها ذلك الويليام لكان...

هنا قاطعتها كاترين قائلة بعد أن نهضت وذهبت ناحية الباب كي تتأكد أن والدتها لا تتابع حديثهما أو تنصت له من بعيد:

– صه يا فتاة.. أتريدين أن يفتضح الأمر.. ليس ذنبي أنني أحببته هو بالذات..

تصمت قليلًا، ثم تضيف بلامبالاة:

– لن أقول له أن يتركها.. أو لن أقول له أن يحبني..

تجرع مولي القليل من الشراب، ثم تضيف:

– أواثقة أنتِ بذلك الرجل؟

توقفت كاترين أمام الباب، وقبل أن تفتحه أضافت:

– لا أدري، لكنهم أخبروني أنه ساحر جيد، ويجيد مثل هذه الأمور، وهذا يكفي لأن ينجح..

***

يسير هولي هارفي وهو رجل ضخم الجسد، غليظ الرقبة.. يعمل محاميًا، وأمامه كلبه ساسكس..

ليست عادة لديهما أن يذهبا في نزهة إلى ضفاف النهر، لكنه يوم النزهة الخاص بساسكس بعد شهر أو أسبوع من العمل الشاق لهولي وسط القضايا، والمحاكم وغير ذلك..

يتوقف ساسكس بغتة، وينحدر إلى اليمين راكضًا، حتى يصل إلى باب أحد المنازل ويقف، يتشمم حواف الباب، يلعق الفرجة بلسانه..

هناك شيء ما!

هكذا خمن هولي، الذي أخذ يركض خلفه حتى وصل إلى المترل، الذي وقف أمامه كلبه..

يقرأ اللافتة التي عُلقت أمام الباب الخشبي...

(مترل الطبيب بانجتون جودمن)

يشم رائحة عفنة تزايدت مع دنوه من الباب! لا بد أنها قادمة من الداخل!

يطرق الباب بسُلاميته، مرة، وأخرى، لكن لا ردّ!

هوءهوءهوءهوء!

ينبح ساسكس، ويزووم ويدور حول نفسه مرتين أو ثلاثًا، ثم يدس أنفه في الفرجة تحت الباب، كأنه يريد الدخول، ثم يبدأ بنبش الأرض بقدميه، مما أثار من حفيظة وريبة هولي، الذي أخذ يزيد من الطَّرقات!

***

امتلأت غرفة دوجلاس دراي بدخان السجائر، حيث جلس هو ومساعده يدخنان بشراهة، ويتمتمان بكلمات تدور معظمها حول جرائم القتل..

علق نيولاند سترته على مسند المقعد، وشمر دوجلاس عن ساعديه، وأخذ يثب من فوق المقعد، ثم يجلس مرة أخرى، وهو يضيف:

– الشعور بالفشل بدأ يتسلل إليّ..

قالها ثم أضاف:

– ربما اليأس.. صحيح أننا نواجه قضية عفنة.. لكن..

يصمت طويلًا ثم يضيف:

– عدة جرائم يرتكبها رجل مجنون، لا بد أن نهتدي إلى أثر مهم خلال أيام قليلة، وإلا فسدت القضية، ومضت سنوات طويلة قبل أن نهتدي إلى القاتل، هذا إذا اهتديت إليه أساسًا.. والعادة المتبعة هي أن القاتل لا يعرف فريسته، وأنه لم يلتقِ بها من قبل بدون شك، وليست له بها أية علاقة، فيما عدا ميل مفاجئ مرضي، وهذا يبعد الآثار والدوافع المعتادة في أي جريمة قتل، وليست هناك طريقة أخرى لربط مثل هذا القاتل بضحاياه إلا الاهتداء إلى شهود عيان، أو ربما اكتشاف أدلة أكيدة يخلفها القاتل وراءه، لكن ها هنا لا قرائن لا شهود.

يصمت ليكمل مساعده وهو يحك في فروة رأسه:

– لم يترك خلفه إلا الجثث.. وأنه يرتكبها بيده اليمنى..

قالها نيولاند بعد أن شعر بخيبة الأمل تدنو منه هو الآخر، وأضاف:

– أعتقد أنني سأطرد.. أو أن ترقيتي ستُلغى.

قالها باسمًا، ثم أضاف:

– هل تثق بأنه شخص واحد؟

تررررن ترررررررن!

دق جرس الهاتف، ليمنع دوجلاس من الإجابة، فرفع السماعة ووضعها على أذنه ليجيب:

– دوجلاس دراي.. من معي؟

أتى صوت وقور غليظ عبر السماعة يقول:

– أنا هولي هارفي المحامي.

– أهلًا وسهلًا..

– لدي بلاغ

– تفضل..

قالها دوجلاس، الذي أحضر قلمًا وورقة، وأضاف:

– معك تفضل.

– اليوم كنت في نزهة أنا وكلبي ساسكس متجهين إلى النهر في طرف البلدة حيث انحدر كلبي إلى أحد المنازل، فلحقت به، طرقت الباب عدة مرات، لكن لم يجب أحد، والمثير للشك هو الرائحة البشعة التي تسربت من خلف الباب!

توقف الرجل للحظة، ثم أضاف:

– خذ العنوان..:

***

22

خبر في صفحة الحوادث بمجلة (الولاية)

وتستمر سلسلة سلسال الدم دون توقف أو تدخل من رجال الشرطة..

بعد مقتل الطبيب بانجتون جودمن، وهو طبيب جراح يقطن (..........)

وقد أفادت مصادر خاصة بالمجلة أن من كشف عن تلك الجريمة هو كلب يُدعى ساسكس حيث أبلغ صاحبه عن الجريمة قائلًا:

- كنا متجهين إلى النهر في طرف البلدة حيث انحدر كلبي إلى أحد المنازل، فلحقت به، طرقت الباب عدة مرات، لكن لم يجب أحد، والمثير للشك هو الرائحة البشعة التي تسربت من خلف الباب!

وعندما أتى خبير الباثولوجي الشرعي أفاد أن الفترة الزمنية للوفاة هي من أسبوعين إلى أربعة أسابيع تقريبًا نظرًا لما بالجثة من علامات تؤكد ذلك، وكذا تبين بعد انه قد تم استئصال عضوه الذكري تمامًا، مثله مثل الباقين، لكنه قبلهم جميعًا، على ما يبدو أنه كان أول ضحايا السفاح المجنون..

من يدري ربما كشفت الأيامِ القادمة عن قتلى تم قتلهم ولم ندرِ عنهم أو تدري عنهم الشرطة شيئًا.

كتبته مارجريت بير

***

صورة من تقرير الطب الشرعي الخاص بجثة الدكتور بانجتون جودمن

بأمر من الشرطة ورجال اسكوتلانديارد وبتكليفهم المتضمن إجراء الكشف الطبي على جثة المجني عليه / الطبيب / بانجتون جودمن لبيان سبب وفاته أجبتُ بما يلي:

– مكان الكشف ثلاجة مشرحة الولاية.

– الجثة لرجل جيد البنية يبلغ من العمر حوالي **45** عامًا أو يزيد قليلًا، وقد تم التعرف إلى هويته بالاستعراف الطبّي الشرعي عن طريق معاينة الملابس، والكشف الظاهري والتصوير الشعاعي والفحص السني، وتبين أن الجثة تخص الطبيب بانجتون جودمن، وقد شوهد عليه الآتي:

– وجود جرح قطعي في العنق أحدث قطعًا بالوريد الوداجي الأمامي، أحدثه طرف آلة حادة وغالبًا هو مِبضع من تلك التي كان يستخدمها الطبيب في عملياته الجراحية قبل وفاته.. الجرح يتجه من اليسار إلى اليمين، هذا يدل على أنه يستخدم يده اليمنى..

– هناك سيلان لمقلة العين.

– تساقط السعر والأظفار.

– تحلل شديد في الجسد.

– تغير معالم الأحشاء الداخلية.

– ظهور بعض أجزاء العظام في الرأس والوجه.

– شهود آثار لعملية جراحية ليست بالدقة المتناهية تم خلالها استئصال العضو الذكري للجثة.

ومما تقدم تبين لنا أن الفترة الزمنية للوفاة تقدر بأسبوعين إلى أربعة أسابيع..

وأن سبب الوفاة هو جرح قطعي في العنق أدى الى قطع بالوريد الوداجي الأمامي.

إمضاء

د / مارك ستيوارت

***

23

جومجانا ساحر من أصول إفريقية.. شديد النحول، غائر العينين، شاحب الوجه، أجعد الشعر، يرتدي معطفًا أسود حال لونه.. ورث مهنته تلك عن والدته، التي تُوفِّيت بعد أن أخذت عليه العهد كي يكمل بعدها.. وبالفعل لم يتوانَ جومجانا في السير على نهج والدته، بل تفوَّق عليها وطوَّر من السحر، واستخدم أساليب أكثر شرًّا، لكنها تدر عليه مالًا وفيرًا..

استخدم الفتيات الإفريقيات في تجارته بجميع الدول التي ذهب إليها..

يلقي عليهن سحره الأسود، ويصنع لهن دمى الفتيش فيبقين تحت سيطرته إلى الأبد.. يتحكم فيهن كيف يشاء..

استقر في فترته الأخيرة في تلك الولاية التي تطل على النهر، واتخذ من ذلك الكوخ مقرًا خاصًا به يمارس فيه السحر بأنواعه وألوانه كافة.. يأتيه الكثير من الأغبياء، والأغنياء، يمتص منهم ما يريد من مال، لكن تبقى تجارة الإفريقيات هي المصدر الأول والرزق الذي يعتمد عليه في معيشته.

يعيش معه ويعمل معه تلك السيدة العجوز روتشي، وهي بلا مأوى، وبلا أبناء أو أقارب كما يقولون مقطوعة من شجرة، لا يوجد من يعتني بها؛ لذا كانت تشحذ في الطرقات.. قابلها جوجانا فأخذها معه إلى الكوخ، وجعلها تعمل عنده مقابل الطعام والمأوى.

يدق الباب، فتذهب هي لتفتح، لتطل منه تلك الفتاتان، اللتان قد حضرتا أول أمس، فتفسح لهما الطريق، لتدخلا إلى جوجانا، الذي رحَّبَ بهما في حرارة، وهو يضيف:

- هاه.. هل أحْضَر...

لكن كاترين قاطعته، وهي تناوله لفافة بها ما يريد، قائلة:

- نعم.. ها هو..

يتناول منها اللفافة، وهو يضيف:

- والثمن؟

- خذ.. وعندما تفرغ سوف أعطيك مثله.

تقولها وتناوله قطعتين من الحلي، وهي تضيف:

– أمي اسمها مارجريت كوبر سيزلي..

– وهو؟

– وليام هارت وليز..

– وأنتِ؟

قالها، فنظرت إلى مولي، وأضافت:

– كاترين دوجلاس دراي.

***

– وأصبح لدينا كمًّا لا بأس به من القتلى دون أن نجد القاتل.. لا يوجد من نشك فيه، لا يوجد من نحقق معه سوى الجيران، ولم يعربوا أو يقدموا لنا عونًا..

لقد صرنا تائهين.. نيو *..

قالها دوجلاس دراي، مطلقًا بعدها سُبّة قذرة، ثم أضاف بعد أن أخذ نفسًا عميقًا:

---

* اختصار نيولاند

– يجب أن نكتشف من التحريات.. يجب.. لا بد أن نعثر على أي شيء يدلنا على الطريق الصحيح قبل نهاية الأسبوع.

قالها ثم أردف:

– هل لاحظت عدم وجود تلك العبارة التي وجدناها مكتوبة من قبل؟

***

في عيادة الدكتور سيسلي بيادنجتون وهو الطبيب النفسي الخاص بقضايا اسكوتلانديارد، وقد تعرفنا إليه مسبقا بالمؤتمر الطبي، يجلس هو يطالع أحد المراجع المهمة في الطب النفسي، يفحصه بعوينات غليظة تشي بأن خلفها عينين طالعتا الكثير والكثير حتى ثقل وزنهما ووزن المخ الذي تلقف كل تلك المعلومات..

يقف يقلب صفحات المرجع الغليظ بين راحتيه، ثم يضيف بفم مشغول بغليون من نوع فخم للغاية وداخله طباق أفخم كذلك:

– ما ذكرته كله يا دوجلاس جلي فيه أن ذلك القاتل مريض نفسي..

قالها ثم أعاد وجهه إلى ناحية دوجلاس، الذي جلس ينفث لفافة من التبغ وينصت بأذنين صاغيتين.. ثم أضاف مشيحًا وجهه عن دوجلاس، ويعيده إلى مكتبته العتيقة:

- المرض النفسي أو العقدة النفسية ليست مرضًا مشينًا بل حالة نفسية قد تكون نتيجة تجارب سابقة.. فهي ليست سوى خبرات ومشاعر تحمل انفعالات نفسية تم اختزانها في عقلنا الباطن في مراحل عمرنا السابقة، ربما من أيام الطفولة نتيجة لتعرضنا للضغوط والحرمان والمواقف الصعبة، ورغم أن هذه المشكلات قد انتهى عهدها منذ زمن طويل فإنها تبقى في داخلنا، ويمكن أن تشكل طباعنا وسلوكنا ويظهر تأثيرها حين تتعرض لمواقف مشابهة في حياتنا..وليست العقد النفسية نوعًا واحدًا، ولا تحدث فقط في المرضى وغير الأسوياء، لكنها تكاد تكون عامة الحدوث في كل فرد بدرجات متفاوتة..

صمت قليلًا ثم أضاف:

- أنت نفسك من الممكن أن تكون مصابًا بإحداها، لكنها لم تطفُ على السطح بعد.

زفر دوجلاس دخان لفافته معربًا عن عدم استساغته لتلك المحادثة، وأضاف قبل أن يضيف ذلك الرجل شيئًا آخر:

- لم آتِ إليك أيها الطبيب كي آخذ درسًا في الأمراض النفسية، لقد أتيتك كي تخبرني هل هناك مرض نفسي يتحدث عن أمام الأعضاء التناسلية الذكرية أم لا؟، وتصرفات المريض كيف تكون؟

قالها وأخذ ينتظر رد الفعل القادم من الطبيب، الذي أتى باردًا يحمل هدوء أعصاب قاتل، نفث دخان غليونه في الهواء ببرود، ثم أضاف:

تلك الجملة التي وجدتها مكتوبة بالدم، والتي تكررت.....

(أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا)

تجعلني أشكُّ في أن ذلك الشخص لديه عقدة المسيح المخلص..

– ماذا؟

– عقدة المسيح المخلص، هي عقدة نفسية تجعل المصاب بها يعتقد أن خلاص البشر معتمد عليه وأن كل آلام ومشكلات البشرية ستزول على يديه، وأن الآخرين فقط لم يمنحوه الفرصة لعمل ذلك.

– تعني أن القاتل يعتقد أنه يخلص المجتمع من الفاسدين.

– الزناة.. على حد قولك.

– والطبيب الجراح،.. ولماذا يقطع الأعضاء التناسلية للذكور فحسب؟

– ماذا تقصد بالطبيب الجراح؟

– أقصد أنه لم يكتب لديه تلك الجملة السابقة!

حك الطبيب بذقنه، ثم أضاف:

- ربما لم يرتكب الزنا.. لذا لم يخطها بدمائه كالباقين.. فانتقم منه فحسب، أما عن قطع الأعضاء..

قالها ثم جلس على مقعده الجلدي الوثير، وأضاء المصباح الصغير ليبث ضوءه على صفحات الكتاب، التي فتحها، وأضاف:

- هذا انتقام واضح!

- انتقام!

- نعم.. انتقام مصاحب لعقدة المسيح.. ربما كان ذلك القاتل لديه أيضًا عقدة نقص..

- نقص ماذا؟

قالها فنظر الطبيب إلى الجزء السفلي الخاص بدوجلاس في نظرة ذات معنى، فضم دوجلاس قدميه بحركة تلقائية، بعد أن فهم ما يعنيه الطبيب، ثم أضاف:

- أتقصد أنه؟!

- نعم لديه قصور في عضوه الذكري، أو ربما ليس لديه عضوًا من الأساس.. فعقدة النقص هي أساسًا استعداد لا شعوري مكبوت، أي أن الشخص لا يفطن إلى وجوده..

وقد ينشأ هذا من تعرض الشخص لمواقف كثيرة متكررة تشعره بالعجز وقلة الحيلة والفشل، ومتى ما اشتدت وطأة هذا الشعور على

الشخص مال إلى كبته، أي إلى انكسار وجوده، بل وإلى عدم الاعتراف بما لديه من عيوب فعلية..

غير أن كل ما يذكره بالنقص يحمله بتلقائية على الدفاع عن نفسه..، فربما أدت إلى العدوان والاستعلاء والزهو الشديد والتظاهر بالشجاعة والمبالغة في تقدير الذات.. وهو في حالتنا تلك أدى إلى العدوان والانتقام من كل من يشعر أنه أفضل منه في الناحية الجنسية!

فرغ الطبيب من حديثه ثم أردف:

– هل هناك شيء آخر تريد أن تسألني عنه؟

شرد دوجلاس ثم أضاف:

– الدماء؟.. لماذا يكتب الكلمات بدماء الضحايا؟

نهض الطبيب، وتقدم إلى المكتبة بضع خطوات أخرج فيها مُجلّدًا لا يقلُّ ضخامة عن صاحبه، وأضاف مجيبًا:

– دكتور فريتز يقول في كتابه هذا: إن القاتل يكتب بدماء الضحايا أنفسهم، ربما للذة تصاحب عقدة المسيح، وأنه بعد أن حللهم، وفرغ من العمل معهم .. ربما وضع هذا الكلام كالصك، أي أن المجني عليه مات لأنه موصوم بالعار واللعنات والخطايا..

قالها ثم أضاف:

– هناك ظاهرة تُدعى ظاهرة الهيموجرافي ..

(haemography).. ربما.. أنا لست متيقنًا من ذلك، لكنها هي على ما يبدو كانت قد تبنت تلك الفكرة..

التقط أنفاسه وأضاف:

– تتحدث هذه الظاهرة عن الكتابة بالدم، فالدم يتجمع كي يكتب كلمة ذات معنى معين.. لكنه يخضع وقتها لضمير الشخص ذاته وضمير من يقرأ كذلك، فمن الممكن أن يكتب godisnowhere وهي كلمة خبيثة، ولكن يمكن قراءتها كالآتي god is now here او god is now .. فعندها تتحدد قراءتك لتلك الجملة حسب موقفك الإيماني.. فضعيف الإيمان يقرؤها الأولى.. أما راسخ الإيمان يقرؤها بالطريقة الثانية.. لكن لا أعلم لما يفعلها، ربما يود أن يبعث لكم برسالة ما.. لا أعلم.. حقيقة لا أعلم.

قال الطبيب ما قال، فأضاف دوجلاس في حنق:

– لكن في حالتنا تلك هو الذي يكتبها، ليست الدماء هي التي تكتب نفسها حتمًا.. وإلا تنحيت عن القضية وتركتها لساحر بدلًا مني ليفك طلاسمها، فهو سوف يجيد عمله حقًّا في ذلك الوقت.

ابتسم الطبيب، وأضاف:

– لم أقل هذا.. فقط كنت أطرح وجهات النظر كلها.

- بل كنت تريد أن تستعرض علمك أمامي.

قالها دوجلاس في نفسه، لكن الصوت خرج عاليًا بعض الشيء، فتساءل الطبيب قائلًا:

- ماذا؟.. هل قلت شيئًا؟

ارتبك دوجلاس، ثم أضاف وهو يهم بالخروج:

- أبدًا.. على كلٍّ شكرا لك أيها الطبيب..

قالها ثم أردف:

- إن احتجت إليك مرة أخرى فسوف آتيك حتمًا.

***

24

يجلس جوبجانا وأمامه قطعة لفافة من القماش الخاصة بوليام هارت وليز، يفضها أمامه فيرى حفنة من الشعر، يبتسم مضيفًا:

– هذا رائع..

يقولها ثم يضيف صارخًا في العجوز روتشي أن تكف عن إصدار تلك الأصوات من منخارها، فيجدها نائمة كجثة هامدة أمام المدفأة، يصرخ مرة أخرى، فتنهض مفزوعة سائلة إياه إن كان بحاجة إلى المساعدة أم لا؟ فيشكرها بدوره ويطلب منها أن تخرج كي تنام أو تموت في الجانب الآخر من الكوخ، فتنهض هي في تؤدة شاكرة إياه.. تجر قدميها جرًّا حيث الجزء الآخر من الكوخ بالخارج.. ثم تدلف إلى فراشها المليء بالجلود وأوراق الأشجار، ثم تذهب في سُبات عميق.

***

ساعة من النوم أو ساعتين ثم تنهض روتشي بعد أن تناهى إلى مسامعها صوت كالأنين، وصوت آخر لا تعلم مصدره..

تنهض جالسة على مقدمة فراشها القذر، تستوعب الموقف، ثم تنهض مغادرة الفراش لتتجه إلى داخل الكوخ حيث يجلس جومجانا..

الصوت يقترب ويعلو كذلك كلما دنت من الباب!

وقفت تنصت إلى الداخل، ثم دقته بسلاميتها، متسائلة إن كان سيدها يريدها معه أم لا؟ لكن لا مجيب!

الصوت يتزايد، فتدق الباب مرة أخرى متسائلة، لكن لا رد!

تهم أن تغادر، لمعرفتها أن سيدها لا يحب أن يقاطعه أحد ما دام يعمل.. لكن الصوت يتزايد أكثر!

فتعود أدراجها، وتدير المزلاج وتدلف إلى الداخل لتتلقى الطامة الكبرى، فإن ما رأته بالداخل لم يكن ليتم استيعابه قط!

***

- سيدي المحقق لك أن تفترض فيَّ الغباء، ولتعد علي تفاصيل مقابلتك للطبيب سيسلي، لكن أرجو منك تلك المرة أن تعيد صياغتها بما فهمته أنت منها، ليس بما حدث كله.

قالها نيولاند مضيفًا ابتسامة ساخرة لدوجلاس، الذي أخذ يقهقه لشدة غباء نيولاند، ثم أضاف:

- كيف لك أن تدخل الى سكوتلانديارد، وأنت بذلك الغباء؟

قالها ساخرًا هو أيضًا، ثم.. أضاف:

باختصار لم يسفر عن شيء.. فما قاله كان مُحبطًا تمامًا بالنسبة لي، فلن أسير في الطرقات لأنادي على من لديه قصور في عضوه الذكري، أو ربما ليس لديه عضو من الأساس.. وأخبره أن ذلك القصور قد أدى إلى العدوان والانتقام من كل من تشعر أنه أفضل منك في الناحية الجنسية!

ترررن ترررررن!

دوى صوت الهاتف.

ساد الصمت المكان، إلا من صوت أنفاس الرجلين ثواني معدودة، ثم استعاد الرجلين وعيهما، فالتقط نيولاند السماعة، وأضاف:

- نيولاند من اسكوتلانديارد من معي؟

- لا يهم.

هكذا أتاه صوت امرأة عجوزٍ على ما يبدو، تلهث كما هو جلي من صوتها، أضافت بذات الصوت اللاهث:

- لقد قُتلَ.. إنه قتل.. جومجانا.. هناك في كوخه، الذي يطل على النهر.. لقد قَتله أحدهم!

هكذا أغلقت السماعة بعد أن قالت ما قالت لتتركهما مبلبلين.

***

كان المشهد كالآتي:

الكوخ من الداخل قذر جدًا، ممتلئ بالأقمشة والجلود.. شموع في كل مكان.. غراب ميت، وأخشاب سوف تكون حطبًا للمدفأة ربما.. بعض اللحم النيئ!

كذلك هناك الكثير من البخور.. وبعض الدُّمى التي تناثرت حول جثمانه صانعة دائرة!

وأخيرًا هناك في المدفأة آثار لقماش كثير، على ما يبدو أنه خاص بملابس جومجانا هذا.

أما بالنسبة لجسد الساحر ذاته فقد كان مُسجًّى وقد تعرَّى تمامًا من أية ملابس، مقيدًا بحبال غليظة..

به الكثير من الكدمات.. جسده من ناحية البطن عليه خيوط من الدماء الثخينة، التي توحي بأن هناك نزيف قادم من داخل فمه.. هناك كذلك تلك العملية المعتادة، الخاصة بقطع العضو الذكري!

الشيء الغريب هو هذه العصي المصنوعة من الخشب، والتي انغمست بالكامل داخلُ دبره صانعة خوازيق لا بأس بها!

الشيء الأغرب هو عدد تلك العصي.. فعددها نفس عدد الدُّمى، التي تراصت حول الجسد تمامًا!

وفي ركن الكوخ كتبت ذات العبارة بالدماء:

(أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا)

***

وقفت كاترين بقميص النوم خلف باب غرفتها، وأخذت تختلس النظرات عبر الردهة حيث وجدت ويليام يهم بالخروج من المترل وحده.. علمت حينها أن مارجريت قد ذهبت في سبات عميق، فدلفت إلى حيث هو بخطوات واثبة على أطراف أصابعها، وبصوت أقرب إلى الهمس نادت عليه كي ينتظرها..

ما إن وصلت إليه حتى دست يديها بين فرجة الباب حتى تمنعه من الخروج، وقفت أمامه بجزع عارٍ ونهدين بارزين من خلف قميص مهلهل، وبيد ناعمة وضعتها على فيه كي يصمت ولا يضيف شيئًا، فقط أخذ يختلس النظرات إليها، ثم أضافت هي بصوت حانٍ مبحوح، أقرب إلى الهمس كي لا تسمعها مارجريت، ولكي تدب الوهن في قلبه كذلك:

- هناك.. حيث الهدوء والسكينة.. يقبع قارب في انتظارك.. فقط رحلة معًا إلى النهر.

قالتها ثم تركت يدها ترحل عن فمه كي يتحدث، فأضاف بصوت خرج متحشرج:

- والدتك.. إنها.

قاطعته:

- لن يعرف أحد..

تصبب عرقًا، ثم أضاف:

- أين؟، ومتى؟

- الليلة!

قالتها وابتسمت ابتسامة خبيثة تدل على النصر.. وفي سِرِّها أخذت تشكر ذلك الساحر البارع!

***

25

زفر الدكتور مارك ستيوارت خبير الباثولوجي في توتر شديد، وهو يشير بسبابته إلى الجسد المسجى أمامه، قائلًا بحدة:

- حقًا لا أفهم ذلك الرجل.. كيف له أن يقتل بتلك البشاعة؟! لا يمكنني أن أفهم هذا حقًا!

دفن دوجلاس وجهه بين كفيه ماسحا إياه، وكأنه يزيل بذلك ما ألَمَّ به من توتر، ثم أضاف:

- رباه.. هذا مخبول لا محالة!

قالها، ثم أضاف:

- ما الذي يقصده بهذا؟

قالها وهو يشير إلى العصي الرفيعة التي انحشرت في مؤخرة جومجانا..

أمسك مارك ستيوارت فم الجثة، وفتحه ليجد أنه قد فقد لسانه تمامًا!

فتركه مضيفًا:

– لقد استأصل كذلك لسانه!

قالها ثم أردف:

– يجب أن أنقلها إلى المصلحة كي أفحصها جيدًا.

هكذا قالها، ونظر إلى دوجلاس، الذي أضاف واضعًا يده اليمنى على رأسه في حيرة وتوتر بلغا المُنتهى:

– حسنًا.. حسنًا.. افعل ما يحلو لك.. لكن أرجو أن يكون التقرير الخاص به إمامي في أسرع وقت.. أرجوك.

– لا تقلق.

هكذا قالها الطبيب مجيبًا، ثم أضاف في شيء من الهمس كأنه يحدث نفسه:

– الأمر أعقد مما تتصور.. إنه يعلم ما يجب فعله.

***

في المصلحة.. عكف مارك ستيوارت على فحص الجثة بعد أن ارتدى قفازين من المطاط، وأمسك في يده مبضعًا..

لكن قبل أي شيء بدأ في نزع تلك العصي واحدة تلو الأخرى ببطء وتؤدة بالغين حتى لا تمس إحداها أي عضو من الأعضاء الحيوية، فيضل وقتها سبب الوفاة الحقيقي..

اثنان..

خمسة..

عشرة..

اثنا عشر..

سبعة عشر خازوقا!

هكذا فُضَّ جسد الجثة مما كان فيه، وأضاف ماسكًا بيده جهاز تسجيل عتيق، وأضاف:

– أعتقد أنه محترف.. لقد أعدمه بواسطة الخوزقة.. بعد أن أدخل سبع عشرة من العصي الرفيعة مدببة الطرف في دبره مخترقة الأمعاء مارة بكل الأعضاء الحيوية كالكبد والكلى، والقلب، وهي أعضاء لو طالتها إحدى تلك العصي لكانت أودت بحياته سريعًا.. إنه أراد أن يعذبه.. أراده أن يموت بعد أن تطول معاناته وآلامه وأوجاعه لأطول

فترة ممكنة، كأنه جلاد يخشى أن يمس أحدهم فيُتَّهم بالإهمال والرعونة، فيُعاقَب بالخوزقة مثله!*

هناك كذلك جرح قطعي أو عملية جراحية غير محترفة تم خلالها استئصال اللسان كاملًا!

هناك عملية مثلها تمامًا أجريت بآلة حادة جدًّا نتج عنها استئصال العضو الذكري كاملًا!

هناك بعض الكدمات يبدو أنها ناتجة عن ضربات تلقاها المجني عليه بعصا غليظة أو شيء كهذا.. وهي متفرقة.

قال ما قال، ثم ترك ذلك الجهاز، وأمسك مبضعه، وبدأ في إزالة فروة الرأس، ليعثر على جرح قطعي آخر بسيط حوله ازرقاق واضح وورم بالجلد.

فيمسك بالجهاز مرة أخرى، ويبدأ في إضافة ما رأى:

- لقد تم ضربه على رأسه بآله ثقيلة نوعًا، لإحداثها جرحًا بسيطًا في الرأس ويرجح أنها أفقدته الوعي.

ترك الجهاز، وشرع يفحص بقية الجثة..

كانت بعض الدول تدفع المكافآت للجلاد الماهر الذي يستطيع أن يطيل عمر الضحية على الخازوق ويزيد من آلامه، وتُقاسُ مهارة هذا النوع من الجلادين بأن لديه القدرة على إدخال العصا الغليظة أو

الخازوق من خلال فتحة الشرج ليخرج من أعلى الكتف الأيمن دون أن يمس أعضاء الجسم الحيوية، مثل القلب والكبد والكلى التي تودي بحياة الضحية سريعًا، ولكن لو مات المُخَوزَق أثناء عملية الخَوزَقَة في وقت سريع، فيحاكم الجلاد بتهمة الإهمال، وقد يتعرض لتنفيذ العقوبة نفسها عقابًا له على إهماله.

مرت ساعة أو ساعتان.. ربما.. ثم فرغ مارك من عمله في الجثة، حين جلس شارعا في كتابة التقرير، لكنه تذكر دوجلاس، فرفع سماعة الهاتف، وطلب رقم مكتبه.

***

التقط دوجلاس سماعة الهاتف بلهفة دون أن يكمل الهاتف رنة واحدة، وأضاف:

– دكتور مارك؟

قالها منتظرًا الرد، فجاء صوت خافت مبحوح، يضيف في تؤدة:

– كارتين دوجلاس دراي!

هكذا قالها، فارتعدت أطراف دوجلاس بأكملها، ثم أضاف بتوتر ملحوظ اختلط بصوته فجعله مبحوحًا بدوره:

– من أنت؟.. أنت...

لكن الصوت قاطعه بذات التؤدة:

- كاترين دوجلاس دراي.

هكذا قالها ثم أغلق السماعة في وجه دوجلاس، الذي سقطت منه السماعة بعد أن مسحت جانب وجهه بسقوطها هذا، وجلس يتصبب عرقًا يغلفه الصمت..

أعاد السماعة ببطء إلى مكانها، ثم التقطها مرة أخرى، وأخذ يدير القرص طالبًا رقم الهاتف الخاص بمارجريت.

***

26

في بيت مارجريت..

كانت مارجريت نائمة على فراشها تاركة ويليام إلى جوارها، وكاترين في حجرتها، حين دوى صوت جرس الهاتف بإلحاح إلى جوارها ليجعلها تنهض مفزوعة، وتضيء المصباح الخاص بالأباجورة، وتنظر إلى الساعة أولًا لتجد أن الوقت متأخر جدًا، لم تخمن من، فقط رفعت السماعة لتجد دوجلاس يصرخ قائلًا بضع كلمات لم تتبين منها إلا كلمة كاترين!

وطبعًا كان ذلك كفيلًا بأن ألقت السماعة، وانطلقت في رحلة داخل البيت للبحث عن ابنتها، فتشت المنزل بالكامل، لكن لاشيء!! لقد رحلت.. كاترين رحلت!

التقطت السماعة، وهي تضيف:

- ليست في البيت.. لقد ذهبَتْ..

قالتها فأضاف هو بعصبية:

- إلى أين؟

- لا أعرف.

تصاعدت حدة التوتر في أعماق دوجلاس إلى الذروة، وزادت عصبيته، وأضاف صارخًا:

- كيف لا تعرفين أين ابنتك؟ الوقت متأخر.. كيف لكِ أن تتركيها لتخرج في وقتٍ كهذا؟

قالها فانتابها هي الأخرى القلق والتوتر كالعدوى، وأضافت:

- لم أكن أعلم، لقد كنت نائمة، وقد تركتها في غرفتها.. انتظر ربما لو أن ويليام يعرف، ربما اخبرنه قبل أن يرحل.

قالتها، ثم أضافت:

- أغلق الهاتف الآن، كي أتصل بويليام، وسوف أتصل بك.

قالتها فأغلق السماعة بعصبية، وهو يتمتم بكلمات لم يتبينها أحد.

***

في منزل وليام يدق جرس الهاتف باستمرار دون أن يجد من يجيب!

الصمت يغلف المنزل بأكمله إلا من صوت الجرس..

يصمت قليلًا، ثم يعود مرة أخرى مُصِرًا على أن يجبه أحد، إلا أن ويليام لم يكن بمترله، فقد كان في هذه اللحظة مع كاترين في قارب وسط مياه النهر الرقراقة، يبثان القبلات الحارة، التي ألهبت القارب وكادت أن تحيل مياه النهر إلى ماء مغلي يصلح لإعداد كوب من الشاي، ثم نهضت كاترين من بين يديه، وركضت بخفة على ظهر القارب، لتجلس على مقدمته..

في حين جلس ويليام يوجِّهُه إلى حيث تشير إليه.

***

يدير ويليام المفتاح الذي أعطته إياه كاترين في باب كوخ بدا عليه القِدَمُ يطل على النهر، بعد أن توقف بقاربه أمامه تمامًا، وأوثق الحبل الخاص به كما ينبغي.

المكان مليء بالأتربة، التي دلت على هجره من قبل أصحابه منذ زمن بعيد..

الضوء ذاته شديد الخفوت..

الجدران شبه متهالكة..

هناك رائحة عطنة كذلك تزكم الأنوف.. بالإضافة إلى ما سبق هناك أصوات الحشرات التي اتخذت منه مكانًا للمبيت أو للمكوث،

ظل ويليام لدقائق يتأمل المكان برمته، ثم أضاف دون أن يشيح بوجهه بعيدًا عن الجدران:

- من أين عثرت على تلك القذارة؟

دون مقدمات، أمسكت كاترين بيدي ويليام، وجذبته إلى الداخل في رقة، وهي تضيف:

- الأهم هو أننا وحدنا الآن هنا.

***

على مقدمة فراش متسخ جلس ويليام بجزعه العاري يلتقط أنفاسه، ثم أخرج علبة من السجائر، التقط منها لفافة أشعلها بعود من الثقاب، وأخذ يلتقط منها عدة أنفاس، زفرها كلها في هواء الكوخ ليزده وباءً..

وعلى ذات الفراش، وبملاءة متسخة بدورها نرى كاترين نائمة، وقد التف خصرها بها..

ينظر لها وليام، ثم يهب ناهضًا ليخرج إلى شرفة الكوخ يعب قسطًا من الهواء، الذي تبعثه مياه النهر..

حين دوى صوت الطرق على الباب الخشبي..

طرق متفرق يوحي بأن هناك خلف الباب يقبع شخص واهن..

دلف ويليام إلى الداخل، وذهب ناحية الباب كي يستجيب..

ما إن فتح ويليام الباب حتى وجد ذلك الرجل يقف خلفه تمامًا، يتشح بالسواد..

– من أنت؟

قالها ويليام للرجل منتظرًا الرد أن يأتي من الرجل، لكنه لم يحرك ساكنًا.. فقط مِنْ مكان ما أخرج سكينًا لا بأس بها وغرزها بالكامل في أمعاء ويليام، الذي أخذ ينظر إلى الرجل ثم إلى السكين مشدوهًا لثوانٍ معدودة قبل أن يتهاوى على الأرض بلا حراك..

دلف الرجل بتؤدة إلى الداخل، وأخرج حقيبة صغيرة، فتحها، لتفصح عن الكثير من المقصات، والمباضع بأحجام متباينة، وأشكال مختلفة!

أخرج منها مبضعًا متوسط الحجم، ومقصًا، وبدأ في قص بنطال ويليام، حتى أفصح عن عضوه الذكري، عندئذ ترك المقص، وتناول المبضع وبدأ في عملية ليست شاقة لشخصٍ قد تعود عليها..

فرغ من عملية الاستئصال، فأمسك بالعضو الذكري، ووضعه في برطمان به مادة، على ما يبدو أنها مادة حافظة.. ثم أحْكَمَ إغلاقه ولملم حاجاته، وأخذ في التقدُّم ناحية الغرفة التي تغط فيها كاترين في سبات عميق.

***

– أنت تعلم أن ابنتك صارت ناضجة بما يكفي يا دوجلاس.. لقد صار من الصعب علي أن.

قاطعها دوجلاس وقد ازدادت نبرته حدة:

– بل التفتٍ إلى نفسك يا مارجريت، وتركتِها، أعتقد أن الوقت قد حان كي تعيش معي.

– ماذا تقول؟

– ما سمعته يا مارجريت.

قالها، ثم أغلق الهاتف بعصبية شديدة، ثم أعاد السماعة إلى أذنه مرة أخرى كالمجنون، واتصل بها مرة أخرى..

بعض الرنات، ثم أتى صوتها، لكن دون كلمة أخرى، أضاف:

– أعطني عناوين وأرقام صديقاتها المقربات.

***

– مولي.. اسأل عنها مولي..

هكذا قالت إحدى صديقاتها بعد أن هاتفها دوجلاس، فأغلق الهاتف، وأدار القرص، هذه المرة ناحية منزل مولي..

***

ترزن ترزن

أخذ جرس الهاتف يدق في منزل والد مولي، الذي نهض في تؤدة من جانب زوجته، وأخذ يترنح حتى وصل إلى الهاتف، والتقط سماعته وهو نائم تقريبًا:

– من؟

– أريد أن أتحدث إلى مولي.. إذا سمحتَ..

قالها، ثم تذكر أنها ربما تأبى، فأضاف في سرعة:

– أخبرها أن الأمر يخص كاترين دوجلاس دراي.

دون كلمة أخرى ترك الرجل السماعة دون أن يعلم من هو الذي يريد مهاتفة ابنته، واتجه إلى باب غرفتها، وأخذ يدقه حتى سمع ابنته من الداخل، فأضاف، وهو يعود أدراجه إلى فراشه:

– هناك من يريدك.. يقول إن الأمر يخص كاترين دوماس ربمباي..

قالها ثم دلف تحت الملاءة مرة أخرى..

قفزت مولي من فوق الفراش؛ وذهبت إلى حيث الهاتف، وأرهفت السمع:

– اسمعي يا مولي أنا والد صديقتك كاترين.. أريد أن اعرف منك أين هي الآن؟

قالها فشعر أنها من الممكن أن تخبئ ما تعرفه عنه، فأضاف:

– صدقيني.. إنها في خطر.. ربما.

قلبت مولي حديثه في رأسها، وأخذت تبحث عن إجابة، ثم أضافت:

– الآن ربما هي.. إن كان ما خمنته صحيحًا، في كوخ بيفرد المطل على النهر!

– بمفردها؟!

قالها متعجبًا، فأضافت هي بتردد:

– لا.. بل بصحبة..

– من؟

بتردد أكثر:

– ويـــ.. ويـــ..

– ويليام.. صديق والدها؟!

– نعم هو ذا.. لقد حذرها كثيرًا، لكنها...

لم يترك دوجلاس لمولي فرصة لإطلاق سيل المبررات، فقد علم أن ابنته الآن في خطر.. فقط أخرسها، بأن أضاف:

- أعطني العنوان..

قالها وأخذ يُدوِّنُ ما تمليه عليه..

فرغ ثم وضع سماعة هاتفه ذاهلًا.. وقد علم أن ابنته في عِداد القتلى ومعها ويليام.

***

- عقدة المسيح المخلص، هي عقدة نفسية.. تجعل من لديهم تلك العقدة يعتقدون أن خلاص البشر معتمد عليهم وأن كل آلام ومشكلات البشرية ستزول على أيديهم وأن الآخرين فقط لم يمنحوهم الفرصة لعمل ذلك.

- تعني أن القاتل يعتقد أنه يخلص المجتمع من الفاسدين.

- الزناة.. على حد قولك!

***

أخذ الرجل في التقدم ناحية الغرفة التي بها كاترين، ودلف إليها.

وقف صامتًا لبرهة يتأمل فيها جسدها العاري، ثم.. تقلبت في الفراش بعين مفتوحة فرأته!

صرخت، وتراجعت في الفراش بعد أن جذبت الملاءة عليها لتواري سوأها، وهي تضيف:

– من أنت؟.. وماذا تريد؟ وكيف دلفت إلى هنا؟

كلها أسئلة منطقية كما نرى، لكن بالنسبة إليه لم تكن كذلك، فقط أخرج من جعبته سكينه الممتازة، التي تصلح لكل شيء، وبدأ في التقدُّم نحوها!

هوى بها تجاهها، إلا أنها تفادتها، وقفزت من فوق الفراش إلى الأرض، فهوى السكين على الفراش ليمزقه..

ركضت هي ناحية الباب، ثم مرت بجسد ويليام، الذي غرق في دمائه، توقفت لثوانٍ كي تطلق فيها صرخة أخرى مدوية، وضعت بعدها يدها على فيها، وأخذت تزرف دموعًا، تبعتها بعض التشنجات، ثم رأته يخرج من باب الغرفة، فأطلقت ساقيها للريح، خارجه من الكوخ.. قفزت الدرجات، حتى لمست قدماها العشب، وبدأت في الركض.

خرج هو بدوره خلفها من الكوخ، وأخذ في تتبعها، فهو يعلم أن الكوخ يبعد عن البلدة بعدة كيلومترات، لذا فمن يريد أن يأتيه لا بد أن يتخذ من القوارب سبيلًا لذلك أو أن يكون معه سيارة تصلح لذلك.. وهو يعلم أنها لا تملك هذه الأخيرة.. لذا أخذ في تتبعها.

حتى تناهى إلى مِسامعه من بعيد صوت سيارة تغوص داخل الغابة، تدنو من الكوخ بأقصى سرعتها، فعدل عن رأيه، وتوجه إلى النهر مرة أخرى، راكضًا، واستقر داخل قاربه، وأخذ في الابتعاد بأقصى سرعة

عن المكان برمته.. وهو يتوارى بين الأغصان المتدلية من الأشجار إلى النهر.

***

أخذ دوجلاس يشقُّ طريقه بسيارته داخل الغابة إلى حيث الكوخ، الذي وصفته له مولي، بصحبته نيولاند..

عندها رأى ابنته كاترين، وهي تفر عارية من شيء ما.. فتوقف بسيارته، وأخذ ينادي عليها وهو يغادرها..

أخذ يركض خلفها، حتى تلقفها في صدره، وأخذت هي في النحيب، وأجهشت البكاء.. وهي تضيف:

- إنه يريدني..

قالتها ثم أضافت:

- لقد قتله!

لم يتوانَ دوجلاس في أن يخلع معطفه، ويضعه عليها، بعد أن جلست على العشب لتئن، وهي تضيف بهستريا:

- سوف يقتلني أنا الأخرى..

ذهب دوجلاس ناحية نيولاند ليتناول منه معطفه هو الأخر، كي يواري به نصفها السفلي، ثم أخذها إلى السيارة.. وهو يهدأ من روعها..

ادخلها، وأغلق الباب عليها، واتجه بصحبة نيولاند إلى الكوخ ركضا..

***

دلف الرجلان إلى الداخل، بعد أن نهبا الدرج نهبا، فتلقفتهما جثة ويليام، لم يعرها دوجلاس اهتمامًا، وأخذ يبحث داخل الكوخ عنه، ثم نظر عبر الشرفة فلم يجد أحدًا، فقط وجد القارب الذي أتت به ابنته كاترين.. أطلق سُبَّةً بذيئة، ثم دلف إلى حيث نيولاند وويليام.

وهو يضيف:

- لقد فَرَّ..

قالها لنيولاند، الذي أضاف:

- وترك لنا هذا.

قالها وهو يشير إلى جثة ويليام، ثم إلى الدماء التي خطت على الحائط ذات الكلمات، ثم أردف:

- نحن لا نتحرك قيد أنملة .

27

– لن أخبر مارجريت بما حدث.. أعدك بهذا..

قالها دوجلاس لابنته التي جلست على الفراش، وهو يناولها قدحًا من الشاي الساخن، ويربت على كتفيها.. وفي قرارة نفسه يعلم أنها سوف تعرف لأنها صحفية، وأن خبر قتل ويليام سوف ينتشر كالنار في الهشيم.

تناولت منه القدح، وأخذت ترشف منه ببطء.. فأضاف هو:

– أرجو أن تصفيه لي.. كاترين.

قالها فتركت القدح على الكومود، وأضافت دون أن تنظر إلى دوجلاس:

– لقد كان ملثمًا.. لكنه ليس بالطويل أو القصير، وليس بالبدين أو الرفيع، يرتدي الأسود، معه سكين.. وحقيبة.

- هذا كل شيء؟

- نعم.. هذا ما أذكره.

قالتها فهَمَّ هو بالنهوض بعد أن تناول منها القدح الفارغ، وخرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه.

خرج دوجلاس من الغرفة واتجه إلى الهاتف.. أمسك بسماعته، وطلب رقم مكتبه، ليجبه نيولاند:

- من معي؟

- دوجلاس..

قالها وأضاف:

- هل تتبعتم أية مكالمة هاتفية؟

قالها فأضاف نيولاند:

- لم نعثر على أي أثر لأية مكالمة يا دوجلاس، وهذا يعني أن المكالمة كانت من هاتف عمومي..

قالها فأضاف دوجلاس:

- الهاتفان العموميان الوحيدان للولاية، أحدهما في محطة القطار، والآخر أمام الكنيسة!

قالها ثم أضاف:

– ليس من المنطقي أن يكون قد حدثني من محطة القطار، هذا لأن الوقت الذي أبلغني فيه بأنه سوف يقتل كاترين، كان قصيرًا بما لا يسمح معه أن يصل إلى ذلك المكان، المهجور في الغابة بهذه السرعة، فمحطة القطار في نهاية البلدة، في طرفها.. أما الكنيسة ففي وسطها، مما يعني أن الوقت لديه، أو أن لديه متسع يسمح له بالذهاب..

صمت ثم أردف:

– أنصت إليّ يا نيولاند.. خذ مارك ستيوارت واجعله يفحص الجثة، ربما أتى لنا بالجديد في تقريره، بعد أن تضعها بالمصلحة.. أما بالنسبة للتحقيقات فلا يوجد أحد أو شهود إلا ابنتي، وسوف أدوِّنُ ما قالته في ورق رسمي.. دون ذلك لا يوجد من يتم التحقيق معه.. هذا بداية، أما ما أريدك أن تفعله ثانيًا هو أن تبلغ أحدهم بمراقبة ابنتي مراقبة لصيقة.. لصيقة..

قالها وصوت الطبيب النفسي يدوي في أذنيه..

– تعني أن القاتل يعتقد أنه يخلص المجتمع من الفاسدين.

– الزناة.. على حد قولك.

***

28

صفحة من مذكرات هوارد سايمون المتفرقة

نيسان 1940

لقد فررتُ من نفسي ومن كل شيء، لقد ذهبت بعيدًا ..

سوف أبدأ هناك حياة جديدة بلا متاعب ..

سوف أكفر عمَّا مضى من خطايا ..

إن كنت أنا المختار فسوف أصير كاهنا ذا مكانة .. أحلل الجميع من خطاياهم ..

لكن قبل ذلك يجب أن أحلل نفسي أولًا ..

اسمي من الآن هو ..... أندراوس* بدلًا من هوارد سايمون!*

لقد تبرأت من اسمي القديم الذي يحمل الكثير من الخطايا والآثام..

***

أي الرجل وهو من تلاميذ السيد المسيح

آذار 1965

– أخبرني بالله عليك يا مايكل ماذا أعددت لي؟ ما تلك المفاجأة؟

قالتها ماريا لمايكل، الذي أضاف بعد رمقها بابتسامة صغيرة اعتلت جانب فمه:

– لو أخبرتك لن تصير مفاجأة..

قالها ثم أضاف:

– دقائق وسوف يأتي كيد، وسو....

تك تك تك..

لم يكمل عبارته، فقد بترها صوت دق الباب..

ففتحه ليجد كيد يقف خلفه مبتسمًا، مضيفًا:

– ماذا هنالك؟.. لقد شوقتني يا رجل..

لم يجب مايكل، بل أشار إلى المائدة فقط، ثم أضاف بتؤدة:

– بعد العشاء أيها الصديق.. فبكل تأكيد أنت جائع.

رمقه كيد، ثم أومأ برأسه موافقًا، ومضيفًا:

– حسنًا ليكن.. بعد العشاء.

***

قبل أن يفرغوا من العشاء نهض مايكل وغادر المائدة، ليعود بثلاث كؤوس وقد ملأها بالنبيذ الأحمر القاني، الذي يشبه الدماء، ثم وضع كل كأس أمامه صاحبها، مضيفًا:

– هذه الخمر يستعملونها في الاحتفال بالافخارستيا *

قالها ثم أضاف وهو ما زال واقفًا يرمقهم، وهم يتناولون الطعام، ويحتسون النبيذ:

– لقد قال السيد المسيح.. إن هذا هو جسدي يُبذل لأجلكم وهذه الكأس هي العهد الجديد، بدمي المُهراق لأجلكم!

صمت برهة، ثم أضاف:

– هذا كلام المسيح.. أما أنا.. فكنت أود أن أفعل مثله لكنني لست قوي الإيمان .

كان الاثنان في هذه اللحظة قد ظهر عليهما علامات التراخي والهدوء، وبدأ كل شيء يمسكانه يسقط من يديهما رغمًا عنهما... يرمقانه في تعجب، ولم يفهما ما الذي يرنو له، وكذا لم يفهما ما يحدث لهما.

فأضاف مبتسما، وهو يخرج من أحد جيوبه قنينة من الدواء، ويقرأ ما عليها بصوت عالٍ مسموع لهما:

– عقار الفينوباربيتون!

هنا بدأ كيد يستعيد الذاكرة، ويقلب فيها، حتى حملقت عيناه وقد فهم الأمر، لكنه لم يستطع النطق..

تاااك ربب دب!

كان ذلك صوت سقوط ماريا من فوق المائدة بعد أن غابت عن الوعي تمامًا، فأضاف مايكل:

– نعم يا كيد.. لقد دسست لكما العقار في العشاء، وفي النبيذ.. لأنني ببساطة علمت كل شيء..

صمت برهة ثم أضاف ببطء وتؤدة بعد أن قرب شفتيه من أذني كيد:

– علمت أنك خائن!

قالها ثم أخرج سكينا لا بأس به، ومرره فوق عنق صديقه في تشفٍّ، حتى انفجرت الدماء من عنقه كالنافورة..

ألقى به على الأرض، وبدأ في تحرير جسده من الملابس، ثم بدأ في بتر عضوه الذكري، وهو ينظر إلى ماريا نظرة جنونية، مضيفًا:

سر الأفخارستيا أو سر التناول أو القربان المقدس هو أحد الأسرار السبعة المقدسة في الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، وهو تذكير بالعشاء الذي تناوله يسوع بصحبة تلاميذه عشيّة آلامه، والخبز خمر الكرمة.

– لقد صار الآن مثلي..

قالها ثم ذهب إليها ثم انهال عليها بالسكين ليطعنها عدة طعنات بشكل هستيري، تطايرت معه الدماء على وجهه وملابسه، وفي أرجاء الحجرة.

ثم توقف لحظة لينفجر فيها بالبكاء، بعد أن رأى مشهد مقتل حبيبته وصديقه أمامه..

نهض مترنحًا، ليدلف إلى حجرة أخرى يُبدل فيها ملابسه، ثم غسل وجهه ليزيل عنه أثر الدماء، وهبط الدرج مغادرًا كل شيء، ومغادرًا البلدة بأثرها، عائدًا إلى ريدنغ مرة أخرى.

***

– هل وجدتها؟

قالتها مارجريت بقلق ولهفة، بعد أن اتصل بها دوجلاس..

فأضاف هو بتؤدة:

– نعم هي معي.. وبخير حال، فقط كانت عند إحدى صديقاتها.

أضافت هي في حيرة:

– ولِمَ لم تخبرني هي بهذا؟

لم يدر ماذا يقول، فأضاف:

– لقد قلتِ لي إنها نضجت بما يكفي.. ولقد علمت هي بهذا، لذا فهي تتصرف على أثر ذلك النضوج..

قالها ثم أضاف:

– اتركيها معي يا مارجريت، فهي تودُّ ذلك.. وانتبهي أنتِ لنفسك كما تشائين.

قالها ثم أغلق السماعة.

داخل الكنيسة وقف دوجلاس أمام كابينة الهاتف الخاص بها، وأخذ يفحصه بعين الخبير، ويفحص كذلك الاثنين مسترجعًا وصف ابنته.. عندما قالت ليس بالطويل أو القصير، وليس بالبدين أو الرفيع، ثم أضاف، لخادم الكنيسة، وللأب سباستيان:

– هل هناك من يستعمل الهاتف غير من هم بالكنيسة؟

نظر الأب إلى باراسونز، الذي كاد أن يتحدث، فأشار إليه دوجلاس، إشارة ذات معنى أن يخرس، فهو لم يسأله، ولا يريد إجابة منه، فصمت وهو يرمقه في حنق، فقال الأب:

– بالتأكيد.. هناك..

– من؟

أضافها دوجلاس، فنظر إليه الأب باستغراب، وأجابه قائلًا:

– الكثير.. فهناك حالات طارئة.. ثم إننا لم ندوِّن اسم من يستخدم الهاتف في دفتر، حتى أخبرك من أتى، ومن استخدمه.

لم يقتنع دوجلاس بتلك الإجابة، فرمقه، وأضاف:

– اعذرني أيها الأب، فهذا عملي، ويجب عليك أن تتعاون معي.

قالها، ثم أردف:

– لنقل من الذي شاهدته أمس فقط؟

– لا أذكر.. فأنا نفسي استعملته.

زفر دوجلاس بقوة، وهو يضيف:

– أقصد غيرك أيها الأب.

– لا أدري.. ربما باراسونز، أو الأب أندراوس.. أو جريجوري، أو ربما أحد آخر من التلاميذ*

قالها، وصمت الكل، فأضاف دوجلاس متسائلًا:

– إذًا أين أجد الأب أندراوس وجريجوري؟

قالها ويليام، فنظر دوجلاس إلى سباستيان الأب، وأضاف:

– ففففيييي صومعتههههمم..

– أرجو ان تخبرني أين هما؟

***

---

* تلاميذ الرب المخلصون الذين يتبعونه ويمارسون تعاليمه في ولاء كامل.

دلف دوجلاس إلى داخل الصومعة الخاصة بالأب جريجوري بعد أن طرق بابها عدة مرات، ولم يجبه أحد، حيث كان الأب جريجوري يقضي حاجته..

بحث بعينيه على أي شيء يبدو غريبًا، ثم غادرها متجهًا إلى الصومعة الأخرى الخاصة بالأب أندراس.

دق الباب مرة أخرى مرارًا، ثم دلف إلى الداخل..

وبدأ البحث..

كانت الغرفة عادية، لكنها ضيقة نوعًا.. توسط حائطها صورة تقريبية للعذراء، في الوسط استقرت طاولة خشبية قديمة، حاول شرشف بالٍ جاهَدَ أن يُواريَ ذلك القِدَمَ، لكنه لم يستطع، وضع عليها عدة أناجيل، بالإضافة إلى عدة أوراق كانت ممتلئة جملها بالحبر، وضع عليها قلم حبر جاف * على ما يبدو أنه لقد فرغ من عمله للتو..

***

أمام هذه الطاولة كان يقبع مقعد يبدو أن الأب كان جالسًا عليه منذ قليل..

تقدم دوجلاس بضع خطوات ناحية الطاولة، والتقط الورق بين أنامله، وشرع في قراءته بصوت هامس كي يسمع نفسه فقط.

---

* قلم الحبر الجاف ابتكره عالم أمريكي من أصل فرنسي، وبدأت شركة (رينولدز) تصنيعه على نطاق عالمي واسع في عام 1953.

تموز 1965

اليوم أتى لي بنيامين، بصحبة والدته كي يعترف.....

***

29

- صدقني أيها الأب لن أفعلها ثانية..

قالها الصبي بنيامين للأب أندراوس، الذي جلس على مقعده، وأخذ ينصت إلى بنيامين، فأضافت والدته:

- إنه أخطأ خطأً كبيرًا أيها الأب، لقد.. إنه.. لقد فعل..

قاطعها الأب موفرًا عليها كم التلعثُم هذا:

- زنى بيده.. استمناء (Masturbation)

قالها فأومأت برأسها مؤيدة لما قاله، فأضاف الأب ناظرًا إلى الصبي:

- أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم.. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله..

قالها فأضافت هي بلهفة لتطمئن على مصير ابنها:

- هل سيُغفر له؟

فأضاف الأب مجيبًا:

- وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولًا في السماوات.

همت السيدة أن تقبل يديه، لولا أن ارتطم شيء بباب الغرفة الخاصة بالأب، فتركهم الأب، وذهب ليفتح الباب فلم يجد إلا لويس باراسونز، يركض متخبطًا في الردهة، وأخذ يحاول جاهدًا التماسك، لولا أن جسده لم يسعفه!

نظر إليه في تعجب، وأومأ برأسه قائلًا في نفسه:

- كان يتجسس علي؟!

قالها ثم أردف بصوت مسموع:

- هذا الرجل غريب الأطوار حقًا.

قالها ثم عاد بجسده إلى داخل الغرفة حيث وقفت الأم وابنها بنيامين.

***

- تعني أن القاتل يعتقد أنه يخلص المجتمع من الفاسدين.

- الزناة.. على حد قولك!

***

في هذه اللحظة دلف الأب أندراوس إلى صومعته، حيث وقف دوجلاس دراي يقرأ في أوراقه..

- أعتقد أن هذا ليس من حقك أيها المحقق.. أن تتجسس على ما أدونّه بغير حَقّ.

قالها الأب فارتبك دوجلاس، وسقط الورق من بين يديه، لكنه أضاف وهو يلتقطه:

- عذرًا أيها الأب.. لم أكن أقصد ذلك.. صدقني، لقد..

- لا مبررات من فضلك.

قالها الأب وهو يستعيد أوراقه من بين يدي دوجلاس، ويضعها على الطاولة، فأضاف دوجلاس متسائلًا:

– على كُلٍّ أنا آسف على ما صدر مني.. لكن.. قل لي من فضلك أيها الأب: ما الذي تعرفه عن لويس باراسونز هذا؟ أو أين كان يقطن قبل أن يأتيَ إلى خدمة الكنيسة؟

رمقه الأب بعينيه، ثم أضاف:

– من الممكن أن تسأله هو نفسه..

قالها ثم أردف بعد أن ابتسم ابتسامة لم تفصح عن أسنانه:

– لقد أتى إليّ منذ شهرين تقريبًا .

لقد ..

قالها ثم أضاف:

– حسنًا، اجلس وسوف أقصُّ عليك قصته كلها .

***

في هذه اللحظة كان لويس باراسونز الشماس يغادر مقره بزيه المسربل، المتشح بالسواد متسللا حاملا حقيبة صغيرة، راسمًا على وجهه علامات الحذر والجدية، ليخرج من الكنيسة..

تتسارع خطواته تدريجيًا، ثم تحولت إلى عَدْوٍ صريح!

إلى أين يتجه ذلك الرجل؟

بالطبع كان يتجه إلى حيث يقطن بنيامين!

***

30

(أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا)

***

وصل لويس إلى منزل جاستن بنيامين.. توقف خلف الباب، وأخذ يدقه بحذر متناهٍ..

كانت السيدة مارثا تجلس تحتسي الشاي، وتستمع إلى الراديو، حيث دلف الصبي بنيامين إلى حجرته، وأخلد إلى النوم، لأن لديه مدرسة ..

"لا تنسوا أن التعليم في بريطانيا إلزامي للفئات العمرية من خمسة إلى ستة عشر عاما، وهو متاح مجانًا في المدارس الحكومية، ومتوافر للجميع بغض النظر عن الجنس واللون والطبقة الاجتماعية والدين

والسياسة.. فلا تتعجب إذا بلغ طفلك سن الخامسة، ووجدهم يطرقون بابك لتنبيهك بضرورة اصطحاب ابنك إلى المدرسة"..

المهم أنها سمعت الدقات، فتركت قدحها، ونظرت إلى الساعة الوقت قد صار متأخرا، ترددت قليلًا في فتح الباب، فقط وقفت خلفه وبحذر تساءلت:

– من؟

لم يدر لويس بما سيجيبها، بحث عن أي كذبة تصلح، فأضاف بصوت مبحوح:

– عابر سبيل يريد قطعة من الخبز.

هكذا قال، فدلفت إلى حيث المطبخ، أخرجت لفافة من الطعام كانت على مشارف إلقائها في صندوق القمامة، أخذتها، وعادت حيث ينتظر الغريب خلف باب دارها..

فتحت الباب، فتوارى هو خلف الباب تمامًا.. فلم تجده!

تقدمت بضع خطوات إلى الخارج، ظنًّا منها أنه قد ذهب بعد أن مَلَّ الانتظار، أو حسبها لن تَمُنَّ عليه بشيء، حينئذ باغتها هو بأن هوى بعصًا غليظة على رأسها مباشرة، فتهاوت على الأرض فاقدة للوعي دون كلمة واحدة..

أمسك بها، وسحبها إلى الداخل، وأغلق الباب ببطء وحذر خلفه، وبدأ في البحث عن صيده، الذي أتى لأجله.. بنيامين.

***

بخطوات حذرة دلف، أخذ يبحث داخل الغرف كلها عن الصبي، حتى وجده في إحداها .. أمسك بسكينه، وأخذ ينظر إلى بنيامين وهو نائم.. ثم رفعها إلى أعلى و.. بدأت يداه في الارتعاد.. وبدأ الصوت يهمس في أذنيه مرددًا.. نيكولاس.. نيكولاس.. نيكولاس.. نيـــــ......

31

آذار 1965

في هذا الكادر نرى مايكل يسير أمام كنيسة ما خط على واجهتها كنيسة ريدنغ، يرى تلك المقاعد الخشبية، يسير في تؤدة حتى يصل إليها، ويلقي بنفسه على أحدها، ويغيب في سبات عميق..

***

تمر ساعات الليل، وتأتي شمس الظهيرة، ويأتي معها صوت الكاهن الخاص بالكنيسة مدويا وسط الميدان..

"الرب يعرف كل شيء".

ينهض مايكل على صوت الكاهن، وصوت الأصوات التي تبعه مغمغمة، مصدقة على القول..

"أيها الزاني، أيها المخطئ، إن الرب يعرف كل شيء".

قالها وأضاف:

"الاعتراف بالخطيئة أفضل شيء في الكون، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلوّلا في السماوات".

لسبب ما ألقت الكلمات الخوف في قلب مايكل، الذي عزم على الدخول إلى الكنيسة ومقابلة ذلك الكاهن تحديدًا..

***

دار على عقبيه وسار على الرصيف إلى أبواب الكنيسة.. ودلف إلى الداخل.

خطى إلى الرواق البارد.. أحس برعدة مفاجئة عندما شاهد الكاهن فوق المنبر، يلقي الكلمات..

كانت المساحة الواقعة خلف منبر القس يشغلها بورتريه هائل على هيئة السيد المسيح، يبتسم بعينيه الواسعتين.

شعر مايكل بشيء غريب يسري في نفسه، فجلس على أحد المقاعد منتظرًا انتهاء الخطبة.

***

انتهت الخطبة، واتجه مايكل إلى الكاهن كي يعترف .. ألقى بنفسه على المقعد المقابل للكاهن، المخصص للاعتراف، وأخذت الدموع تنهمر من عينيه ..

وضع الكاهن يديه على رأس مايكل، واخذ يهدئ من روعه، وهو يضيف:

- قُصّ عليَّ ما تريدُ أنا مُصْغٍ .

قالها فرفع مايكل رأسه إليه، وأضاف:

- لقد قتلت صديقي وزوجتي، لكني أريد التوبة!

قالها كأنه يلقي همومه ويسكبها إليه..

ثم أضاف:

- لقد استحقا ذلك لأنهما خاناني!

***

وقف لبرهة أخرج فيها موسى الحلاقة الخاص بالسيد فريدي، ثم اتجه إلى نيكولاس، الملقى على فراشه بلا حراك، إلا من صعود صدره وهبوطه، شق بالموسى سرواله، ثم بدأ في مهمة شاقة، ومقززة كذلك، فبتر عضو تناسلي لأول مرة مهمة ليست شيقة إن كنت خمنت ذلك..

الكثير من الدماء، الكثير من الأوردة، الكثير من كل شيء.

***

كان الصوت يهمس في أذني لويس بارسونز مرددًا.. نيكولاس.. نيكولاس.. نيكولاس.. نيـــــ......

ارتعدت السكين من يديه، وسقطت محدثةً دويًا نهض على أثره الصبي، الذي ما إن رأى لويس حتى أطلق سارينة جديدة بأن توقظ كل من حوله من جيران، فدس وليام نفسه في النافذة التي إلى جواره، ثم صار في الحديقة، وبدأ في الركض عائدًا إلى الكنيسة.

***

نظر المحقق إلى الكاهن جنيور قائلًا:

– كيف لم تخبرني بذلك أيها الأب؟

قالها ثم أضاف:

– كيف لم تخبرني بأنه أتى إليكم محملًا بجرائم قتل؟

– لأنه قد اعترف، والاعتراف يعد سِرًا، وكيف لي أن أشي به؟!

صمت دوجلاس قليلًا ثم أضاف متسائلًا:

– ولماذا أخبرتني بهذا الآن إذًا؟

وقف الكاهن، وأضاف بتؤدة:

– لأنني تأكدت أنه من يفعل.. وأنه لن يشفى مما فيه.. ولم يتب كذلك.

تقدم دوجلاس بضع خطوات ناحية باب الصومعة، ثم أضاف قبل أن يغادر:

- هل فكرت للحظة فيمن ماتوا؟

نظر إليه القس، وأضاف:

- لقد أخطؤوا جميعًا.. إنهم زناة.

تقدم دوجلاس بضع خطوات إلى الداخل مرة أخرى، وقد حملق بعينيه متعجبًا من الكاهن، ثم أضاف:

- أنا لا أصدق ما أسمعه.. وهل أنت الإله لكي تحكم بأنهم يستحقون ما فعله ذلك المجنون؟!

....................!!!!!!

قالها ثم غادر المكان برمته سريعًا..

ركضًا وَصَلَ إلى الهاتف الخاص بالكنيسة، أدار القرص واتصل بمكتبه في اسكوتلانديار..

***

في هذه اللحظات كان لويس يركض بمعطفه الذي صار يزن أطنانا بفعل الإمطار عائدًا إلى الكنيسة، وسط الأوحال التي صنعتها الأمطار، ووسط دموع اختلطت بماء تلك الأخيرة..

لكنه راضٍ عن نفسه هذا شيء.. وراض عما فعله هذا شيء آخر.

لكن وسط هذا كان هنالك شيء في صدره ينبئه بأنه لن يعود كما كان..

دلف إلى داخل الكنيسة حيث شعر بشيء من الدفء، وسط الشموع الموقدة.

سار حتى توقف أمام تمثال كبير يمثل كما يعتقدون السيد المسيح، أخذ يرمقه ثم انهمرت الدموع من عينيه..

يغمض عينيه ليرى تلك المشاهد تمر عليه...

- صدقني لقد حاولت يا مايكل، لكن الأمر ليس بتلك البساطة.

يقولها الطبيب الجراح بانجتون، فيضيف مايكل متسائلًا:

- إذًا سأبقى كما أنا رجل ولا رجل.

ينظر له الطبيب في أسًى وينكس رأسه موافقًا.

يختلج وجه مايكل ويرتعد.. يرمق مبضع قد تركه الطبيب على المنضدة، فيلتقطه في خفة، ثم يتقدم بضع خطوات وقد عزم أمره ليقف خلف الطبيب تمامًا، ثم يمرر المبضع فوق عنق الطبيب، الذي نظر إليه مشدوهًا، وأمسك بعنقه، وتمتم ببضع كلمات لم يتبينها لصوته الذي صار مبحوحًا وسط نافورة من الدماء، ثم سقط أرضًا وسط بركة من الدماء...

يشتد بكاء مايكل، ويتقدم أكثر من التمثال، بالتحديد إلى إناء به الكثير من النبيذ الأحمر القاني، الذي يشبه إلى حد كبير لون الدماء، والى جواره قِطَعٌ من الخبز.. فاقتطع لقمة منه غمسها بالإناء واقتطم منها جزءًا صغير لاكَهُ بفيه..

يستمع إلى صوت نفسه لتخبره بضرورة التغيير في نفسه..

لا بد أن تتغير حتى لا يعثر عليك أحدٌ .. اسمك هو.. يغمض عينيه ليتذكر لافتة الملجأ قبل أن يحل بها الخراب (ملجأ لويس باراسونز).. لكن ليس الاسم فحسب بل.. ستلحقك بلسانك علة.

يغمض عينيه مرة أخرى، ليرى نفسه يقف خلف باب كوخ الساحر، يسترق السمع.. ينصت لحديث هاتين الفتاتين، فيعرف أن إحداهما هي كاترين دوجلاس دراي..

يدلف بعد خروجهما إلى الساحر، الذي سمع عنه من تلك الفتاة، التي اعترفت للكاهن جونيور..

يدلف بمعطفه متسللًا وقد أمسك بعصا غليظة إلى الداخل، ثم بوووم!

ضربة لا بأس بها على رأس جومجانا أفقدته وعيه تمامًا.. ثم جلس أمامه ليخرج عددًا من العصي قد أعدها مُسبقًا من حقيبة ما،، ثم يضيف وهو يرمقه:

- كل واحدة من تلك العصي تمثل فتاة قد أرغمتها على البغي أيها اللعين.. سوف تذوق مما كسبت يداك، دون أن تلقي أية أعذار أو حتى أي كلمة أخرى.

قالها ثم أخرج مبضعًا، وبدأ في إخراج لسانه، وبتره تمامًا.

- لويس!

دوّى صوت الكاهن أندراوس في أرجاء الكنيسة، مترددًا وسط أركانها، الذي برز أمام لويس، مقاطعًا سيل ما مضى، ثم أضاف مبتسما ابتسامة صفراء:

- أين كنتَ؟

قالها وأراد أن يكمل حديثه إلا أن مايكل قاطعه قائلًا:

- أريد أن أعترف!

نظر إليه الأب ثم أضاف بتعجب من نطقه الصحيح للكلمات:

- تعترف بماذا يا لويس؟!

- أود أن أعترف بكل شيء .. وبأنني من فعل!

قالها لويس، ثم أضاف:

- لقد قتلتُ الجميع .. قتلتُهم، لأنهم يستحقون ذلك، فكلهم زناة .. كلهم مخطئون .. كلهم قادرو.

بتر كلماته الأخيرة .. وانهمرت دموعه ..

***

في تلك اللحظات، كان الشرطي دوجلاس دراي قد علم أن وجهته هذه المرة الى الكنيسة، بعدما تأكدت شكوكه منذ قراءته المفكرة الخاصة بالأب أندراوس، واعتراف الأب له بما أخبره به الشماس لويس .. وشكوك الأب أيضًا عندما رآه يهرع عندما فتح الباب!

***

كان يتحدث إلى الأب، الذي وقف أمامه مشدوهًا من كونه كان يفعل ما كان يريده هو ذاته، لكنه لم يفعل، لقد منعه كونه قديسًا .. يتوب لديه الجميع .. منعه ما حدث لزوجته وولديه .. أحدهما فَرَّ من أمامه بسببه، والآخر لا يدري عنه شيئًا بعد أن أخذته زوجته بما عليها من ثياب، ورحلت تاركة له نفسه لتعذبه ..

لقد سار شخصًا آخر بالفعل ..

لقد كَفَّر عن خطاياه .. لقد اعترف، وصار كاهنًا .. لقد وهب نفسه للرب .. لقد وهب نفسه كي يكون همزة الوصل بين التائبين وربهم .. إنه تغير، لكنه كذلك يعلم في قرارة نفسه أنه المخلص، وأن هذا الشعور يحثُّ الخُطى خلفه كلما خطا خطوة واحدة ..

يتمنى أن يقتل هذا لأنه قتل ..

يقطع يد هذا لأنه سرق ..

يقطع لسان هذا لأنه كذب ..

كان الاعترف يؤرقه ..

وفي لحظة ما انتبه إلى مايكل، فأضاف بتؤدة:

– كأنك أنا منذ سنين مضت ..

قالها، لكن مايكل أو لويس كلاهما ذات الشخص، لم يجب بشيء، فقط تسمر مكانه، وأومأ برأسه إلى أسفل في أسًى ..

المشاعر تتضارب وتتخبط داخل الأب .. أيوبخه على شيء كان يتمنى أن يفعله أو كان يفعله بالفعل فيما مضى؟!، أم يشكره على فعله ذلك، هو لا ينكر أنه قد أثلج صدره بما فعل، بما ارتكبه من مصائب

– واسمي ليس لويس باراسونز!

رنت هذه الأخيرة في أذني الأب ..

ثم رفع لويس عينيه إليه، وأضاف:

– مايكل هوارد سايمون!

دوى الاسم في ذاكرة الأب كأنه جرس منبه ..

***

وقف الاثنان يرمقان بعضهما البعض .. وتوقفت معهما عقارب الزمن .

***

نهضت لأجد زوجتي قد أخذت ابنها الرضيع، وفرت بعدها من المدينة، ومني إلى الأبد ...

أعلم أنني قد دمرت أسرتي بالكامل، لكنني كنت أفعل الصواب .. كان لا بد أن أطهِّرَه من الخطيئة ..

***

لقد فررت من نفسي ومن كل شيء، لقد ذهبتُ بعيدًا ..

سوف أبدأ هناك حياة جديدة بلا متاعب ..

سوف أكفِّرُ عمَّا مضى من خطايا ..

إن كنت أنا المختار فسوف أصير كاهنا ذا مكانة .. أحلل الجميع من خطاياهم ..

لكن قبل ذلك يجب أن احلل نفسي أوّلا ..

اسمي من الآن هو ..... أندراوس بدلا من هوارد سايمون!**

لقد تبرأت من اسمي القديم الذي يحمل الكثير من الخطايا والآثام..

***

- هاورد سايمون!

قالها القس ثم أضاف بتؤدة وقد اغرورقت عيناه بالدموع:

- بني .. أنا .. إنه ..

لم يكمل ما يقوله فقط صمت كي يلتقط لويس بين أحضانه، وانهمرت منه الدموع .

لحظات مرت طويلة على لويس، ومرت قصيرة على جونيور ..

لم يفهم فيها لويس أي شيء .

***

هندامها وقذارة ملابسها توحي بأنها من الدهماء، أو من الذين ألقت عليهم الحرب بظلالها، واهنة هي كما يبدو تسعل، تمسك صدرها، ترتعد أكثر، يتسلل جسد الطفل من بين يديها أكثر..

تميل هي على جانبها الأيمن، ثم تسقط ويسقط الطفل من يدها بعد أن ينسل من بين يديها تمامًا، ويستقر على الأرض وقد اشتد بكاؤه.

***

أيسرق ابني أنا؟ يسرق؟! يرتكب خطيئة مثل تلك! لا بل ويكذب علي متعمدًا كذلك ..

وهكذا غلى الدم في أوردتي مما اضطرني إلى أن أعاقبه لكن ليس كأي عقاب ..

كان وقتها مايكل ابني الأصغر يبكي في حرارة كأنما كان يعي ما سوف أفعله بأخيه الأكبر ..

سحبت سكينًا من على المائدة .. فعلمت زوجتي ما أنتوي فعله.

حاولت منعي، لكنني كنت الأقوى ..

***

يسير بخطوات واسعة حتى يصل إلى ذلك الكيان، فيجد سيدة ملقاة على الأرض بلا حراك، والى جوارها طفل رضيع يمزقه البكاء .. يجثو على ركبتيه ليفحصها، يبدو أنه طبيب، يزفر الهواء فتتصاعد من فمه الأبخرة، فيلتقط الطفل بين أحضانه ثم ينهض، ويرحل تاركًا السيدة على الأرض بعد أن تأكد من أنها قد رحلت عن العالم.

***

ما إن وصل دوجلاس دراي حتى دلف إلى الكنيسة شاهرًا سلاحه، وسار حتى أصبح في منتصفها تمامًا.

انتبه الكاهن والشماس إلى وجود دوجلاس دراي فمسح لويس عينيه بكم معطفه، وهو ينظر إلى الكاهن بعينين دامعتين، وقد حملت

كذلك الكثير من الدموع، ورسائل كثيرة ذات معنى .. كاد أن ينطق، لكن الكاهن قاطعه مضيفًا:

– حسنًا.. يمكنكم أن تأخذوني الآن.. فأنا مَنْ فَعَلَ!

***

قالها، فأومأ أندراوس برأسه ناحيته متعجبًا، وهم أن يضيف شيئًا، لكن الأب أضاف مرة أخرى موجهًا حديثه إلى دوجلاس الذي لم ينبس ببنت شفة:

– المفكرة التي معك تثبت ذلك!

أما عن دوجلاس بالفعل المفكرة تثبت أن الأب مريض نفسي..

ربما شُفي، لكنه يعترف كذلك .. ومن يعرف تاريخ رجال اسكوتلانديارد يعرف أنهم يريدون أن تغلق القضية فحسب، لذا أقنع دوجلاس نفسه بهذه النهاية .

نظر لويس إلى الأب، لكن الأب أضاف بتؤدة:

– هذا عقاب وتوبة وتحليل من خطيئة ارتكبتها منذ زمن مضى .. أرجوك اتركني أفعل .

قالها فهَمَّ دوجلاس بالانصراف ومعه الأب يسيران جانبًا إلى جنب..

توقف الكاهن للحظات، ثم استدار ناحية لويس، وهو يضيف:

- بني أعلم أنني أحبك ..

قالها وصمت كأنما لا يريد أن يخبره أنه هو والده .*

***

بالطبع لن يتم إعدام الأب نظرًا شيئين، الأول هو أن بريطانيا ألغت حكم الإعدام في 1965 والثاني نظرًا لسنه الكبيرة.

32

يقف دوجلاس دراي خلف باب المترل الخاص بمارجريت ليدقه وفي أحضانه تستقر كاترين ابنته منتظرين الرد..

ثواني تهمُّ مارجريت لتفتح لهما، ليتهلل وجهها فرحًا بهما، تلقي كاترين بنفسها في أحضانها، ثم يضيف دوجلاس وقد علت وجهه ابتسامة ناعمة:

– لقد قدمت استقالتي لأجلك..

قالها فوقفت مشدوهة لثوانٍ، ثم انفرجت أساريرها، ودست نفسها بين ضلوعه.. ثم تبعتها كاترين..

التفت ذرعاه لتحيطا بالاثنتين، ثم أراح ذقنه على رأسيهما.

***

في ذلك المشهد نرى لويس باراسونز جالسًا على ضفاف ذلك النهر .. يلتقط بعض الحصى، ويلقي به في المياه فتتحرك صانعة بعض الدوائر، سرعان ما تتلاشى ..

وعلى بعد خطوات منه نرى هذين العاشقين، يتبادلان إطراف الحديث ..

يسترق هو السمع ..

يسمع الفتاة تتحدث إلى الفتى قائلة:

- أُقسِمُ أنني أحبك، ولا أحب أخاك ..

عندئذ يمكننا أن نرى ذلك الاختلاج الذي سرى في جانب وجه لويس، الذي بدوره يدير وجهه إلينا، ثم يبتسم ابتسامة خبيثة بعض الشيء، ويظلم الكادر تمامًا.

***

أعمال للكاتب

- صدر له عدة أعداد من سلسلة ميتافيزيقا عن المؤسسة العربية الحديثة.
- مجموعة قصصية بعنوان زنزانة 23 عن دار اكتب للنشر والتوزيع.

للتواصل مع الكاتب:

البريد الإلكتروني: affekry@gmail.com

الفيس بوك: mr.fekry_lawyer@yahoo.com

كاهن وشيطان

اعتمدوا جميعكم علي فإن كل
الآلام ، وجميع مشاكل البشرية
ستزول على يدي .
فقط اعطوني الفرصة لفعل ذلك!



أحمد فكري

صدر له

- سلسلة ميتافيزيقا .. المؤسسة العربية الحديثة .
- زنزانة 23 .. دار اكتب .

darektob.com

دار اكتب للنشر والتوزيع
DAR OKTOB PUBLISHING HOUSE

كاهن وشيطان أحمد فكري